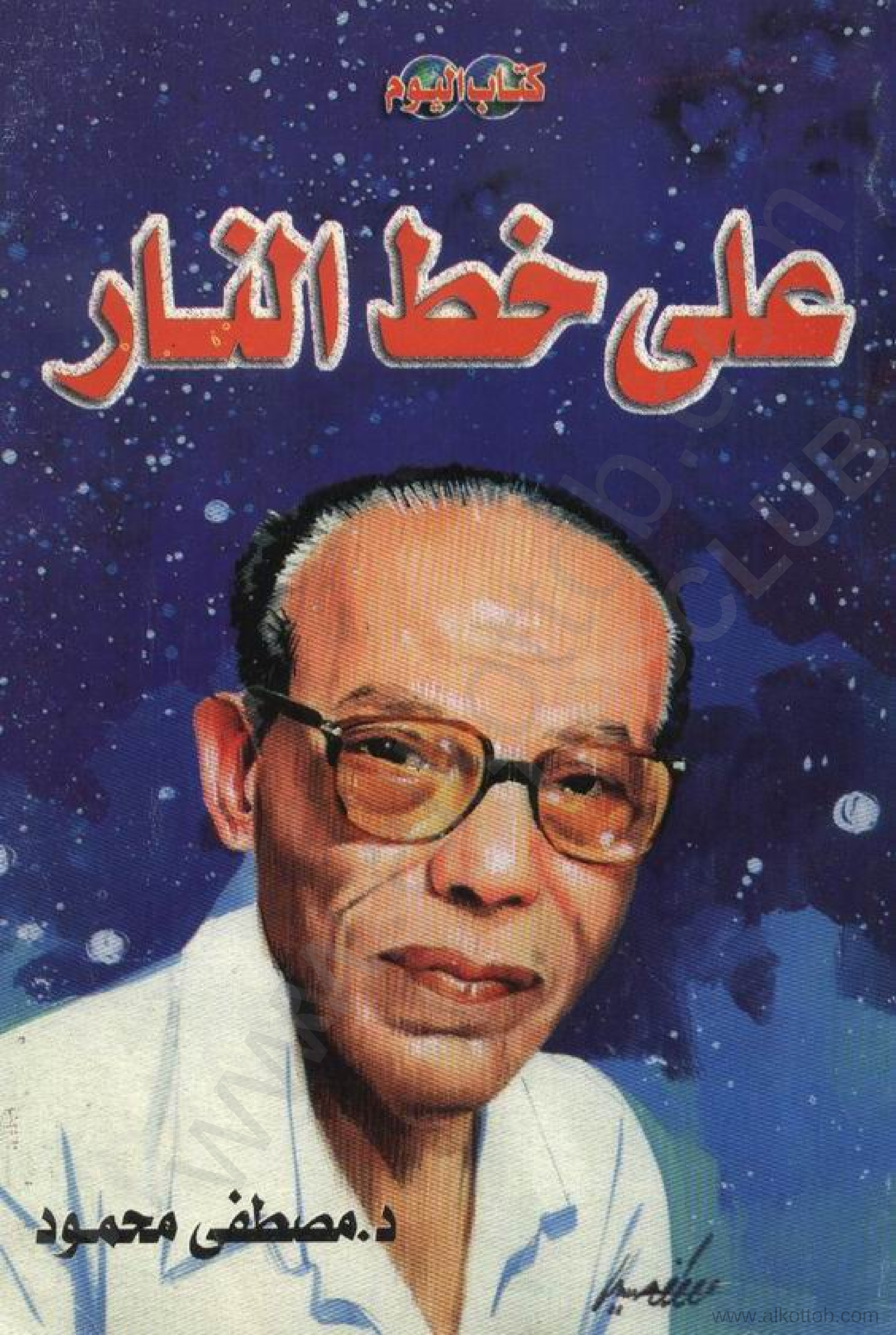
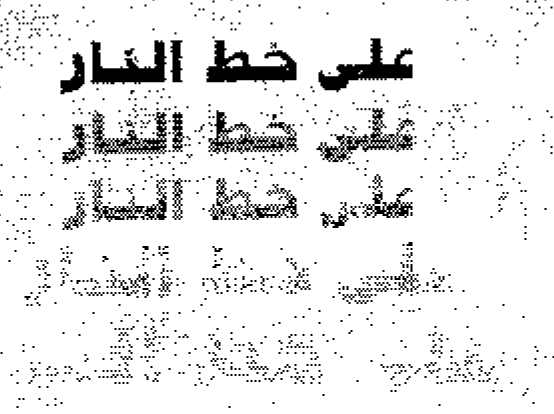


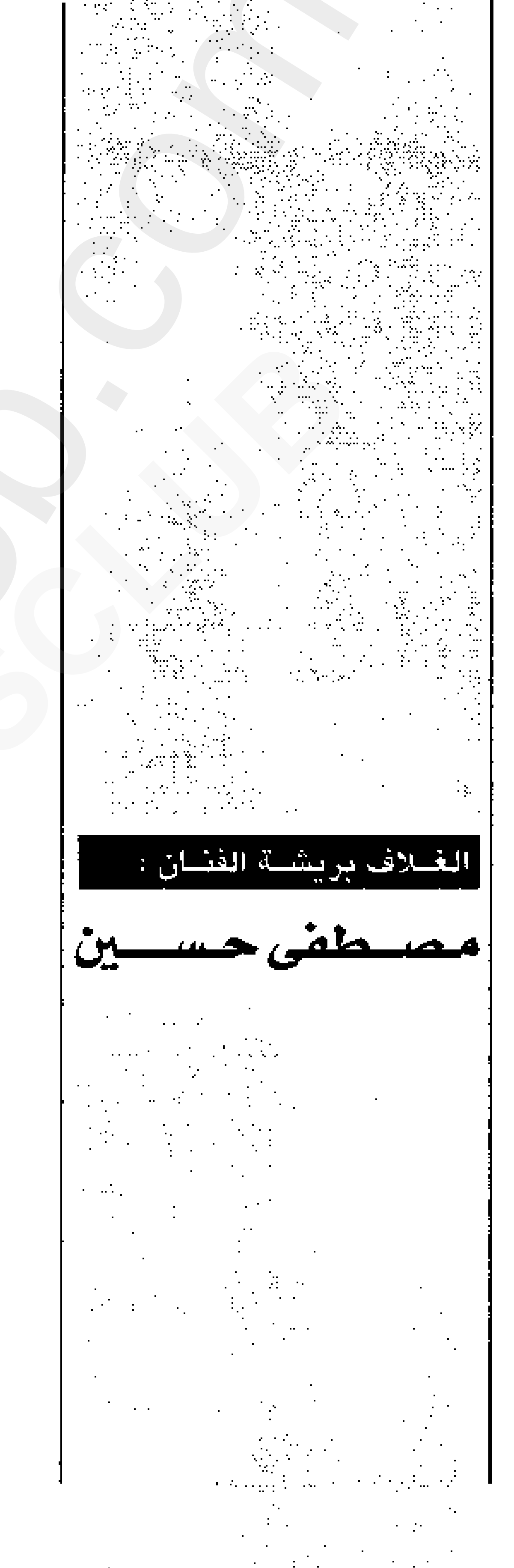
كتاب اليوم
على خط النار
د. مصطفى محمود





الفصل الأول

«الحمى» التي اسمها إسرائيل



الغلاف بريشة الفنان :

مصطفى حسين

فتح باراك صفحة جديدة فى فنون التفاوض والحوار فى القمة الأخيرة التى شارك فيها .. فرأيناه يعاود الهجوم ويأخذ أرضا جديدة (معبر رفح) ويطالب بالمزيد ، ويضع الشروط ويهدد الجانب الفلسطينى المضروب والمطروح على الأرض ويستعلى ويتطاول وكأنه الفرعون الجديد الذى لا يهزم .. وهو دائما مشحون وكأنه قذيفة على وشك الانطلاق فى وجه مفاوضيه .

والمشهد العام لا يطمئن فهو عدوانى متفجر طول الوقت .

وانتهت القمة ولم تعد بشىء ولم تفتح طريقا ، والعكس تماما هو ما حدث . فقد ألقت بظلال قاتمة من الشك والمخاوف على المستقبل .. وبدا للجميع أن طريق مدريد « وأوسلو » وكوبنهاجن كان طريق الندامة وأن كلمات بيريز الصابونية الخادعة كانت مزلقا انزلق عليه كل العرب وانكفأوا على وجوههم .. وأن أمريكا قد أسلمت قيادها تماما لإسرائيل .

ولا شك أن القمة العربية المنتظرة تلقت إشارة لا تخطئها الأذن ولا العين فى أن القضية سوف تحتاج إلى وقفة رجال . وجاءت قراراتها كلها رافضة وحاسمة .

ولا شك أن العالم يدرك الآن أن الدول العربية تمثل ضفيرة من

المصالح الاستراتيجية للعالم كله ، وأن تهديد السلام فى هذه المنطقة سوف ينعكس سلبا على العالم ، وأن ترك العدوان والظلم ليستفحل على يد إسرائيل سوف يأتى بأوخم العواقب ليس على فلسطين وحدها .. بل على الكل .. وأن العرب فى مجموعهم يستطيعون الرد .. وأن الحلول العادلة هى السبيل الوحيد للسلام .. والتاريخ يقدم لنا الدروس .. فهل استطاعت الحروب الصليبية بأهوالها ومظالمها أن تقدم حلا .. لقد انتهت بالخذلان والهزيمة .. وأكثر الشعوب الأوروبية الآن خلعت مسيحيتها وتحولت إلى علمانية ووجودية ولا أدرية .. وعولمة اليوم تجارة ومصالح وتبادل منافع لا دين لها .. والصيحة الآن .. هى للحرية .. ولحقوق الإنسان .. وكل ما حرمته المسيحية أحله أتباعها .. فالشذوذ الجنسي حلال والزنا حلال والخمور بأنواعها حلال الحلال .. وكل المحرمات دخلت فى بند حقوق الإنسان وأصبحت مباحات .

عن ماذا كانت تعبر رايات الصليبيين إذن ؟!! .. عن قتل المسلمين .. ربما .. عن مجرد الكراهية .. نعم .

ورايات اليهود تعبر الآن عن نفس الأشياء عن قتل الفلسطينيين ونهب أرضهم والاستيلاء على حقوقهم .

وهى مثلهم تحرث فى البحر .. وتدعى كذبا أنها تعبر عن حقوق الإنسان بينما هى تعبر عن قتل الآخر .. والاستيلاء على أرضه وأوطانه وخيراته .. وهى دعوة مستمرة إلى كراهيته وإهدار حقوقه .

الحضارة تحولت عن طريق الدبلوماسية الأمريكية إلى قرصنة وسطو ونهب .. وهى تسعى إلى ذلك بكل الذرائع .

وهل كانت حرب الخليج واستدراج صدام إلى غزو الكويت إلا خلق ذريعة للسيطرة على البترول وضرب الوحدة العربية فى مقتل .

الآن نعلم من هم أصدقاؤنا ومن هم أعداؤنا .. ونعلم فى أى صف تقف أمريكا .. ونعلم أين تقف أوروبا والعرب من كل هذا .. ونعلم لماذا تقف أوروبا وأمريكا وراء إسرائيل .

وماذا تمثل إسرائيل لهذه العصابة .

إنها أداة جاهزة لتعويق الانطلاق العربى وإجهاض مشروعاته النهضوية وإفقاره وإغراقه فى الفتن والخلافات والديون .. وهى العصا التى يُضرب بها من عصا (واللبيب بالإشارة يفهم) .

وما يجرى أمامنا هو توزيع أدوار بهدف واحد هو أن نظل جميعا فى الأسر .. وتحت السيطرة .

وعلى العرب أن يتحدوا ويتماسكوا ويتحابوا ويتعاونوا ويتعاملوا كذراع واحدة مع هذا المشروع التفكيكى للقضاء عليهم وتفريقهم والسيطرة على مقدراتهم .

على الدول العربية أن تكون لها استراتيجية وخطة وتكتيك للتعامل بذكاء وفاعلية مع هذه العداوات ، وأن توزع أدوارها لتتعامل مع أطراف العصابة التى وزعت أدوارها لتتعامل معها .

إن الشعب فى الشارع الآن يقاطع الكوكاكولا والماكدونالد والكنتاكى والهامبورجر .. يفعل هذا بأسلوب فطرى باعتبارها

جميعا رموزا أمريكية .

إنها انتفاضة تلقائية ضد ما أحب وما تعود ، وإشعار صادق بانه يمكن أن يخلع ما تعود عليه وأن يقاطع ما يألفه لأنه ارتبط فى ذهنه بأشياء يكرهها .

وحسنا ما فعل .. فقد ثبت أن الإسراف فى شرب الكوكاكولا يؤدى إلى هشاشة العظام وأن أكل الهامبورجر يؤدى إلى عسر الهضم وتلبك المعدة وإلى زيادة الكولستيرول والدهنيات فى الدم وبالتالى إلى الجلطة والذبحة .

وقد اشتهرت هذه الأطعمة فى أوروبا باسم أطعمة فرنكشتين، لأنها خلطة مصنعة من زبالة اللحوم ، ولأنها مخلفات وليست عناصر طازجة .

وما يسمى الآن بالأكلات السريعة .. وهى بدعة أمريكية .. هى أكلات غير صحية بالمرة .

والأكلة الصحية التى ينصح بها الطبيب هى دائما أكلة تأكلها ببطء وتحتوى دائما على خضراوات الحقل الطازجة والفواكه .

وهذه العادات الغذائية الضارة هى بعض ما أتت به الموضة الأمريكية ، وبعض ما أغرقت به شباب العالم .

وتحب أمريكا أن تشتهر بأنها الإمبراطورية الرومانية الجديدة التى تحكم العالم وتحكم مزاج الشباب فى الأكل والشرب واللبس والفن والثقافة .. وأن تكون « إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » .

فهكذا وصف الله عادا الأولى التى كانت تمثل الجبروت والقوة

والبطش فى العالم القديم .

ولعل أمريكا تكون هى عاد الثانية .. وأن تنافسها فى جبروتها وفى قوتها .. وفى نهايتها .

وكنا أيام زمان نقول عن روسيا وأمريكا .. أنهما الفرس والروم .. وقد انتهت روسيا .. أما أمريكا فقد تعملقت وتطاولت فى البنيان كما تعملقت عاد فى أبراجها .. وارتفعت فى أمريكا ناطحات السحاب فأوشكت أن تكون إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد .

فهل تنتهى كما انتهت عاد الأولى وكما انتهى كل الجبارين والعماليق ..؟؟

المستقبل عند الله .. ولا ندعى علم الغيب .

ولكن كتاب التاريخ يلقى علينا بالدروس .

وركب الأباطرة والقياصرة والأكاسرة يمضى ولا شىء يبقى .

وهناك أمم فى قاع البحر ..

وأمم فى بطن الرمال ..

وأمم تحت الجليد .. مع الحيتان الميتة فى العصور الجليدية .

وأمم غبرت وطواها النسيان ولم يبق لها أثر ولا ذكرى .

دروس .. تحفل بها كتب التاريخ .

ورؤساء أمريكا العظام مشغولون تفوتهم هذه الدروس ، فهم فى شغل شاغل يشغلهم على الدوام .. وهم فى دوار العظمة وفى

دوامة الحكم والسلطان وفى الضجيج الإعلامى الذى يصك الآذان حولهم وأضواء الكاميرات التى تعمى الأعين .. ينسون عجلة الزمن التى تجرى ويغفلون عن الحاضر الذى سوف يصبح ذكرى باهتة ثم يصبح سطرا فى الماضى ثم يغدو نسيا منسيا ، ثم يطمره طوفان الأحداث ثم يغدو أثرا بعد عين ثم يصبح ذلك العصر القديم الذى كان .. أين ذهب ذلك العصر .. وأين ذهب رجاله .. فتش عنهم تحت الأرض .. فتش تحت التراب .. هنا .. وهناك ..

هل وجدت شيئا ..

رأيت جمجمة ؟!

أين لسانها .. الذى كان يحكم ويأمر وينهى ويسجن ويعذب ويقتل .. قطع الزمن لسانها وأعمى أعينها .

استوى القاتل والقتيل فى التراب .

لا .. بل ما استووا أبدا ..

بل تفرقت بهم المصائر .. إلى حيث لا نعلم ولا يعلم أحد .

من أسفل سافلين إلى أعلى عليين .

أين الشهيد محمد الدرة ؟؟!!

أين هو الآن وأين قاتله .

ذلك هو الغيب المطلسم .. والمفاجأة الصاعقة .

إن الذى أطلق الرصاصة القاتلة على الطفل لم يدر إلى أى هوة من الجحيم هوت به ..

وإسرائيل بأسرها لا تدرى إلى أى هوة سوف يقودها بطشها الأعمى وقتلها للأطفال وفتكها بالمواطنين العزل .. وغرور القوة الذى استعارته من الظهير الأمريكى سيكون قبرها وتابوتها .

فالشعر المستعار لا يصنع رجولة .

وفروة الأسد لا تصنع أسدا .

بل القوة الحقيقية هى قوتك التى تباشرها على نفسك .. هى قدرتك على أن تحكم غضبك .

وهى قدرتك على أن تكبح شهوتك .

وهى قدرتك على أن تلجم طمعك .

وهى قدرتك على أن تغض بصرك عن عورات الآخرين .

وهى قدرتك على أن تجاهر بالحق أمام سلطان غاشم .

تلك هى القوة التى تشرفك .

أما قدرتك على تعذيب طفل قليل الحيلة .. فإنها فضيحتك وعارك .. وهى إعلان عن دناءتك وصغار نفسك وهوان شأنك .

وقتل الشهيد الدرة جاء تتويجا لسجل المذابح الأسود فى تاريخ إسرائيل ليضاف إلى مذابح صبرا وشاتيلا ومذبحة كفر قاسم ومذبحة الحرم الإبراهيمى ومذبحة دير ياسين ومذبحة أبو زعبل ومجزرة قانا التى تمت فى خيمة اللاجئين التى أقامتها الأمم المتحدة ليلجأ إليها المواطنون من خطر القصف .. وهذه هى إسرائيل .. الشيطان الذى تسانده أمريكا .. وهذه هى إسرائيل التى تتشدق بحقوق الإنسان .. وهذا ما تريده بنا وبالعرب .

وإذا أرادت إســـرائيل أن تكون هـى الوباء والحـــمى والمرض المزمن والمستحكم فى بلادنا العـربية .. وإذا اختارت أن تكون هى الخطر الدائم الذى يهددنا .. فإننا نرفضها بالإجماع .. ولا نجد لها عندنا إلا المقـاطعة .. وإيقـاف التطبيع .. وإعـلان المقاومـة .. على جميع المستويات ..

وليس أمام القمة العـربية إلا رفض إسرائيل وما تصنع .. ولن يتخلف صوت عربى واحد .. وسوف تعلم إسرائيل ومن يعضدها ويساندها أنهـا جمـعتنا بعد فـرقة ووحدت صـفوفنا ضـدها بعد اختلاف .. وأننا جميعا ضدها صوتا واحدا ويدا واحدة .

وسوف تعبر قمتنا العربية عن هذا الاتحاد وتجهر بهذا التكتل.

والخطوة التالية أن يتـحول هذا التكتل إلى استراتيـجية وإلى أسلوب عمل .

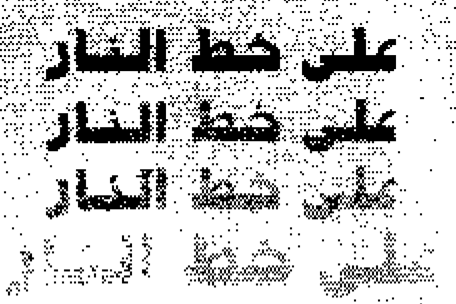
الخطوة التـاليـة أن نكون على مـسـتوى مـا نقـول من حـيث التـخطيط والاسـتعـداد .. وأن نكون نحن وإيران صـفا واحـدا .. فـإيران تقف مـعنا فى نفس الخندق .. وإيران حـليف له ثقل وله موقف .. ورجال حزب الله فى لبنان كانوا رجالا بحق .

لقد فتحت لنا إسرائيل دون أن تـقصد بابا واسعا إلى الجنة .. فمرحبا .

وفتحت عيوننا على حقيقتها .. ودورها .. وأهدافها .

وجمعتنا على إرادة واحدة وخط واحد .

وهو مكسب يعوض كل الخسائر .





الفصل الثانى

على خط النـــار

هل خطر على بالك وأنت تتأمل السماء فى ليلة صافية أنك لا ترى من هذه السماء إلا ٥٪ وربما أقل من محتوياتها مهما استخدمت من مناظير ومجسات وأدوات استشعار .. وأن ٩٥٪ من محتويات هذه السماء وربما أكثر تظل محجوبة عنك .. لأنها كتل سوداء مظلمة لا يخرج منها ضوء وسحب من العوالق والأتربة ممتدة مترامية بلا حدود .

ويقول رجال الفلك إن هذه المادة السوداء المظلمة هى مجموع الغبار الكونى وسحب الغاز البارد وفقاعات كونية سابحة فى الفضاء وكتل مادية جوفاء وثقوب سوداء ونيازك وبقايا نجوم ميتة .. وجسيمات دقيقة وفتافيت ذرات هائمة فى تجمعات سحابية مثل البروتونات والنيوترونات والباريونات والكواركات وجسيمات النيوترينو التى تخترق الأرض وتخرج من الناحية الأخرى فى سرعات مذهلة مثل السهام الخفية .. هذا عدا الأجسام الكبرى العملاقة كالنجوم والشموس والمجرات والكواكب والتوابع والأقمار التى تدور فى أفلاكها .

وافتراض وجود هذه المادة السوداء الخفية كان سببه أن النجوم والشموس والكواكب والكتل المجرية العملاقة لا تكفى

بمجموع كتلاتها للاحتفاظ بتماسك مجموع الكون ككل .. وتأثيرها الجذبى لا يكفى لجمع شمل العناقيد الكونية الهائلة من مجرات وتوابع لتسبح فى أسرة متحاضنة كما نراها .. وكان لابد أن تنفرط لولا وجود هذه المادة المفترضة .

والمعضلة معضلة حسابية وإحصائية فحاصل جمع الكتل الموجودة والمرئية بمناظيرنا وكاميراتنا الفضائية ومجساتنا لأشعة إكس وأشعة جاما والأشعة تحت الحمراء ومنظار هابل تقول إن مجموع المادة الموجودة أقل بكثير من المقدار الذى يفسر هذا التماسك الجذبى القائم .

ولو أن ما نرى هو كل المادة الموجودة لكان لابد أن ينفرط هذا الكون بددا ، ويتناثر فى الفضاء ويضيع ويبرد وينطفىء ولا يجتمع له شمل .. فهناك حد أدنى من الكتلة لتكون هناك قبضة تمسك البنيان الكونى .. وكان لابد من الافتراض أن أكثر من تسعين فى المائة من مادة الكون خافية وغير منظورة ولا يخرج منها أى ضوء يدل عليها .. وأنها لابد أن تكون موجودة قطعا رغم أننا لا نراها .. لتكون هناك تلك القبضة الملحوظة التى تمسك بالكون المرئى .

وعلماء الجاذبية يؤكدون أن هناك حدا أدنى من الكتلة لتتماسك هذه الأسرة الهائلة من المجرات والنجوم والشموس والكواكب والأقمار ولترحل كما نراها وهى متحاضنة فى هذا الفضاء اللانهائى .

فإذا كانت الكتلة أكبر فإن المجموعة تنهار على بعضها

وتنكمش وتتكدس وتتضاغط وتتصهر ويجرى عليها أقصى درجة من « الهرس » الجذبى وترتفع درجة حرارتها وتتحول إلى عجينة نارية ثم تنضغط إلى حد أقصى من الانضغاط وإلى حد أقصى من الصغر .. ثم تعود فتنفجر وتتمدد و تتناثر فى الفضاء لتعيد قصة الانفجار الأول الذى بدأ به الكون .. ثم تنتشر فى السماوات السبع وتتشكل على صورة نجوم وشموس ومجرات سابحة مرتحلة .. كما هى فى عالمنا المشهود الآن .

وتظل تتمدد وتتباعد بفعل قوة الانفجار حتى تخمد هذه القوة .. فينشأ ما يسمى بالكون المتعادل بين قوتين .. القوة الجاذبة المركزية .. والقوة الطاردة المركزية ..

ويستمر هذا الكون عدة مليارات أخرى من السنين .

فإذا استمر التباعد وتغلبت القوة الطاردة المركزية على القوة الجاذبة المركزية بسبب صغر الكتلة فإن القبضة تظل تضعف وتضعف ثم يتناثر الكون بددا فى الفضاء .. وذلك هو الكون المفتوح فى لغة علماء الفلك .. فهو فى تمدد أبدا وفى تناثر دائم لا يجتمع له شمل .

وإذا حدث العكس بسبب ضخامة الكتلة المادية فإن الكون ينهار على بعضه بسبب ثقله ثم ينكمش ويتضاغط إلى نقطة الانفجار الأول .. وذلك هو نموذج الكون المغلق فى لغة الفلكيين .

يقول ربنا عن الساعة فى القرآن .

﴿ ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ﴾

فيربط سبحانه وتعالى بين « الثقل » والانهيار الكونى فى كلمة « ثقلت » ..

وهى إشارة علمية بليغة تفوت الكثيرين .. وسبحان الذى وسع كل شىء رحمة وعلما .. فكلمة « تثاقل » .. هى الترجمة الحرفية لكلمة « gravitation » .. أى الجاذبية .

وهذه معجزة البيان القرآنى الدقيق الذى لا تنتهى عجائبه .

والمعنى المستفاد من كل هذا أن الكتلة المادية لمجموع الكون هى التى سوف تحدد سلوكه وسوف تحدد نهايته .. ولأننا لا نرى مجموع هذه المادة ولا نشهد منها إلا الجزء الذى يشع ضوءا .. ويخفى علينا تماما جانب المادة السوداء المظلمة ولا ندركها إلا تخمينا واستنتاجا من حساباتنا .. فإننا لن نعلم متى ستأتى لحظة الانهيار الجذبى ومتى تقوم الساعة رغم أننا نعلم أشراطها وعلاماتها .

وتلك لفتة أخرى لدقة البيان القرآنى .

﴿ لا تأتيكم إلا بغتة ﴾

أى أننا سوف نفاجأ بها ولن تدركها حساباتنا رغم توقعنا لحدوثها .. فهناك عنصر ناقص فى هذه الحسابات لن ندركه بوسائلنا .. وهو المادة السوداء المظلمة ومداها وكتلتها بالضبط .

وهذه هى « س » فى المعادلة التى لا سبيل إلى تحديدها كميا .

وهذا هو التحدى الذى يواجه العلماء .

أى أننا لن نعلم « بالضبط » مقدار هذه المادة السوداء المظلمة .. وبالتالى لن نستطيع أن نحدد ساعة الانهيار .

وهناك جنون فلكى الآن حول هذه المادة السوداء .. وهناك

سباق محموم بين كل المراصد ومراكز الأبحاث الفلكية للوصول إلى الماهية الحقيقية لهذه المادة السوداء وكميتها وكتلتها .

والخلاف على أشده بين كل مراكز البحث .

ولكن كلهم متفقون على أنها حقيقة وأنها تملأ السماوات .. ولكنهم مختلفون غاية الاختلاف فى مقدارها .. وفى ماهيتها .

ولفتة أخرى للدقة القرآنية فى خطاب الله لموسى عن الساعة .. يقول ربنا ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ [١٥ : طه] .

يقول ربنا ﴿ أكاد أخفيها ﴾ ولا يقول أخفيها .. أى أننا سنعلم أنها آتية .

والكلمة غاية فى الدقة .. فالفلكيون الآن يعلمون أنها آتية لا شك وأنها مرتبطة بالزيادة التراكمية للكتلة .. ولكنهم لا يعلمون مقدار هذه الكتلة الكلية ..

بسبب المادة المظلمة التى لا يخرج منها ضوء ولا تدركها المناظير .. وبالتالى لا يستطيعون حساب موعد الانهيار بالضبط لأن الرقم الكلى مجهول .

وآيات مثل : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ [١ : القمر] .

﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ [١٧ : الشورى] .

﴿ يسأل أيان يوم القيامة ﴾ [٦ : القيامة] .. كلها .. إشارات إلى استحالة التحديد ﴿ فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر ﴾ [٧ - ٨ - ٩ : القيامة] .

ولا يُجمع الشمس والقمر إلا فى الانهيار الجذبى الذى ينهار

فيه الاثنان بجاذبية المركز ، ويتحول الكون كله إلى عجينة واحدة تهرسها الجاذبية هرسا ..

ولا شك أنها ستكون حالة مشهدية خارقة تخطف البصر لغرابتها .. هذا إذا ظل المشاهد قادرا على المشاهدة وإذا لم يتحول إلى بودرة أو مسحوق .

والأمر لا يمكن وصفه فهو كارثة كبرى بكل المقاييس يتضاءل أمامها كل ما نرى من سيول وأعاصير وزلازل وبراكين وصواعق وانهيارات جليدية .

إنها النهاية التى لا يعلم إلا الله ماذا بعدها .

ولا يملك عالم الفلك الذى يرصد ويقيس ويسجل ويحسب إلا أن يصاب بالرجفة والذعر .. فالأرقام التى تجتمع لديه من الحاسبات الكومبيوترية الضخمة تنبىء باحتمال مؤكد .. أن هناك مادة مظلمة خفية تملأ جنبات الفضاء والكون وأن هذه المادة الخفية تشكل أكثر من ٩٥٪ من الكون وأن ما نراه بأعيننا من هذا الكون أقل من ٥٪ من محتواه الكلى .. وأن المجرات غارقة فى هالات خفية من هذه المادة كما تغرق حبات الفستق فى المربى .. وأن هناك عفريتا ماردا له ملايين الأذرع يضغط على مادة هذا الكون شيئا فشيئا دون أن ندرى .. وأننا نقترب شيئا فشيئا من اللحظة الحرجة التى سوف ينهار فيها كل شىء كمعمار هائل من القش .

متى ..؟!! لا نستطيع أن نحدد .

والكومبيوترات الضخمة لا تسعف .

والأرقام لم تظهر بعد .

ولا نملك إلا التخمين .

ولكن كل الأرصاد تقول إن هذا الكون العظيم يسير حثيثا إلى نهايته .

وصدق رسولنا العظيم عليه الصلاة والسلام حينما أجاب السائل الذى سأله :

– متى الساعة يا رسول الله ؟ .

فقال الرسول العظيم فى كلمات جمعت الحكمة كلها .

– لا تسألنى .. بل اسأل نفسك .. ماذا أعددت لها .

صدقت يا رسول الله .

فهذا هو الكلام المفيد .

والإغراق فى الفضول العلمى .. والسؤال عن كيف .. ومتى .. وأين .. لن يؤدى إلى نتيجة ولن يغير من النهاية .

ونهايتك لن يغيرها إلا عملك .

قلبك وما يُضمر .. وقدمك وما تسعى .. هما طريقك إلى جنتك ونارك .

وإذا أردت أن تبلغ غاية المنى فلا سبيل إلا أن تقدم حياتك كلها لنصرة الحق وتلك غاية لا يبلغها إلا مقاتل أراد الله بكل قلبه فمات شهيدا .. فأطلعه الله على المشهد الحق .

وهى أمنية لا مكان لها إلا على خط النار .

والدول العربية تقف الآن كلها على خط النار .. فقد قال كل

زعيم من زعمائها ما عنده فى اجتماع القمة .. وانتهت الخطب .. وفرغت الكلمات .. وسكتت القاعة الكبرى التى ضمت فى رحباتها أكثر من ثلاث عشرة دولة عربية ..

وأعطى باراك إشارة من يده لترد الدبابات بسيل من قذائفها على معبر رفح وعلى قرية رام الله .. وسقط المزيد من الأطفال الفلسطينيين قتلى وفى أيديهم الحجارة .

وسال الدم الطاهر .. وجحظت العيون وتجمدت نظراتها المتسائلة إلى السماء بينما كان الكل يسأل .. وماذا بعد ؟؟!

نعم .. كان الكل يسأل ..

وماذا بعد .. ؟!

والرد الغبى لباراك لم يقدم إجابة .. بل فتح الجرح أكثر .. ليسيل الدم أكثر .. ولتقسو القلوب أكثر وأكثر .. وليصبح الممكن مستحيلا .

ومن الواضح أن باراك يريد بذكاء شرير أن يستدرج الطرف العربى للحرب وبذلك يعطى لنفسه أسبقية إدراك توقيتها فيكسب نقطة عسكرية فى صالحه .. ولكن العرب لن يكونوا بهذا الغباء فيسلموه ذقونهم مجانا ..

وسوف يرتد ذكاؤه غباء وإحباطا ولن يكسب إلا مزيدا من الحقارة فى نظر الجمع العالمى الذى يشهد المواجهة غير المتكافئة بين دبابات وأطفال .

وسوف يخسر باراك شرفه أكثر وأكثر كمقاتل ولن يكسب شيئا بالمقابل .

وإذا قرر العرب الحرب فلن يطلعوا إسرائيل على توقيتها .

وإسرائيل هى الخاسرة حتى فى حربها لأنها لن تجد الحرب النظامية التى كانت تتوقعها وإنما ستجد حرب عصابات .. رجلا لرجل كما حدث فى جنوب لبنان .. حرب انقضاض ومواجهة .. ولن يقوى الجندى الإسرائيلى على المواجهة .. وسوف يفر العسكر اليهود كالجرذان ..

ولن يجد اليهود خيارا إلا الموت أو الهرب .

ومعروف مسبقا ماذا سيختار الجندى اليهودى .

يقول عنهم الله الذى خلقهم .

﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنت صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ [٩٤ : البقرة] .

فهم لن يتمنوا الموت أبدا .. وأمام الموت لا يملكون إلا الهرب .

إنه المصير الذى ينتظر باراك ورجاله ..

ولن يعرف باراك متى يكون مصرع غروره .

فهكذا كانت نهاية الكبار أمثاله ..

والمستقبل كله علامات استفهام .

والله وحده هو الذى يعلم .. متى ؟؟.. وكيف ؟؟ تكون النهاية .

وهو القائل فى خواتيم سورة الإسراء إننا سندخل عليهم القدس وسندمر كل ما عمروا فيها وكل ما رفعوا من بنيان .. وقد اقترب الميقات .

على خط النار
على خط النار
على خط النار



الفصل الثالث

لا تطبيع مع سياسة ذات الوجهين

. سامح الله الإخوة الأوروبيين فهم لا يشعرون إلا بأنفسهم ولا يعترفون إلا بتاريخهم فالأجندة عندهم تبدأ من ميلاد المسيح والحضارة فى حسابهم بطول ألفى سنة فقط .. وهذه السنة هى الألفية الثالثة فى تقديرهم .. والاحتفالات بطول وعرض القارات الخمس وحول الكرة الأرضية تفتح ذراعيها لاستقبال الألفية الثالثة .. وما قبل ذلك كان فى حسابهم ظلمة حضارية دامسة .. ورغم أن ميشيل جار أطلق صواريخه من على هضبة الأهرامات ليدشن ألفى سنة من هذه الحضارة .. فإن الهرم الأكبر نفسه أخرج له لسانه مذكرا أنه قد بلغ من العمر أربعة آلاف سنة ومن الأهرامات الأخرى حوله ومن مقابر الفراعين ما بلغ الخمسة آلاف سنة من العمر المجيد المديد والتحف الثمينة والبرديات والآثار فى باطن تلك الأهرامات وفى جوف تلك المقابر تحكى بأبلغ عبارة أنه كانت هناك حضارة .. وكانت هناك علوم وفنون وعقائد ونظم ومجتمعات وحياة حافلة بكل جديد منذ ألوف السنين .

ومن قبل ذلك كان هناك امتداد حضارى بعمق سبعة آلاف سنة وثمانية آلاف سنة فى الصين وفارس .. وكان هناك بوذا وزرادشت وشموس بازغة للحكمة والفن والفكر .. فكيف تخطى الإخوة الأوروبيون كل هذا بجرة قلم ولم يذكروا إلا ألفى سنة

حكموا فيها وملأوا الأرض فسادا وحروبا وظلما ودمارا ودما واستعمارا ونهبا لثروات الشعوب .

هم لم يذكروا إلا سيادتهم وصدارتهم وتفوقهم وعلوهم وعلومهم التى نحتوا بها الصخر .

ولم تترك لنا دباباتهم ومدافعهم وقنابلهم وألغامهم وطائراتهم وصواريخهم النووية إلا تلوثا ودمارا أهلك الأخضر واليابس وفى النهاية ختموا أمجادهم بالزراعات المهندسة وراثيا وباستنساخ النعجة دوللى وفتح الباب لاستنساخ البشر واللعب فى الهوية الوراثية لأبناء آدم .. وحفظ البلايين من الحيوانات المنوية والبويضات المثلجة فى خزائن وثلاجات تحت الصفر .. لحين الحاجة إليها لتخليق ما يشاؤون من أجناس بنى آدم .

يقول عنهم ربهم أنهم ﴿ فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ [٨٣ : غافر] .

﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ [٨٣ : غافر] .

وهذا حديث ربنا عن علومهم التى سادوا بها الدنيا والتى حجبتهم عن العلم الأكبر وعن الحكمة الكبرى من الحياة والموت .. تلك الحكمة التى أدركها القدماء فأقاموا من أجلها الأهرامات والمعابد ورسموا على جدرانها الحياة الآخرة والبعث والميزان والثواب والعقاب .

لقد سبق علم أجدادنا الأوائل علوم المتحضرين فأورثهم الخشية ومحاسبة النفس .. وذلك هو العلم الحق الذى يورث الحكمة والتأمل .

لكن أصحابنا أسقطوا هذه الحضارة التى شغلت أهلها بالموت وما وراءه وشغلوا أنفسهم بالدنيا ولهوها وأفراحها .. وكان همهم أن يحصلوا على أكبر قدر من هذه الحياة المرحة .

وجولة سريعة بين فضائيات التليفزيون فى ليلة الألفية كشفت لنا هذا الكم الهائل من التفاريح والاحتفاليات فى كل بيت وكل شارع وكل بار وكل مطعم وكل متجر وكل مشرب إلى درجة السكر طينه والرقص والتهريج وفرقعة الصواريخ والبمب والرقص إلى درجة الاعتناق والإغماء لذة وجنونا ..

هذا هو حال الغرب الذى اكتسح وسيطر وحكم وفرض ذوقه ونمط حياته وتهريجه حتى لغته فرضها على الشارع المصرى والعربى وكذلك فرض لبسه وعطوره وذوقه ومسرحه وأفلامه ورواياته وفلسفته وانحلاله إلى درجة الإغراق.

وكان طبيعيا ألا يذكر هذا الغرب النشوان بنفسه الثمانية آلاف سنة من حضارة الصين ولا الخمسة آلاف سنة من حضارة مصر .. ولم يذكر إلا الألفى سنة من حكمه وسيطرته وما سيكون من الألف الثالثة المقبلة وما يخطط لها .

وكان طبيعيا أن تكون لنا وقفة .. فالنقل والتقليد عن هؤلاء الناس قد انحدر بنا إلى غور سحيق من فقدان الهوية وفقدان الروح وفقدان الشخصية وفقدان المستقبل .

لقد أطربنا صوت أم كلثوم ومسلسل أم كلثوم فى رمضان وأسكرنا وأخرجنا من البرامج المستنسخة من الفضائيات الغربية وأعادنا بسرعة خاطفة إلى هويتنا الشرقية وإلى مزاجنا العربى وإلى لغتنا الجميلة وانطفأت إلى جواره البرامج المقلدة وألوان

العرى والإثارة .. وكأنما أخرجنا رأسنا بعد غرق عميق وأخذنا شهيقا طويلا ورجعنا إلى وعينا .. وإلى نفوسنا وذواتنا .

نعم يا سادة .. هناك إغراق متعمد مقصود .. فى هذه « الفرنجة » السطحية .. وفى ألوان من الفن الحسى الذى يدغدغ الغرائز ويثير الشهوات .. وفى التهريج المتواصل خفيف الدم ومسرح النكتة وكوميديا القفشات .. وهذه الموجة قادمة من أوروبا ومن أمريكا ومن فنون الإنحلال والإثارة التى تبثها فضائيات الغرب وأفلامه وصحفه ومجلاته ورواياته .

ولا يحدث هذا مصادفة بل هو ترويج متعمد وإغراق له سماسرته ووكالاته .

والحرب معلنة على اللغة العربية .. فى أساليب التدريس .. لإغراقنا فى العامية السوقية بالأغانى والإذاعات ولغة الإعلام واللافتات الأجنبية التى تملأ الشوارع .. والانجليزية والفرنسية أصبحت لغات بديلة جاهزة على جميع الألسن وهى دائما لغة الذوات والطبقة الراقية ورجال الأعمال وهى الأسماء المفضلة لجميع محلات الملابس والسوبر ماركت والمقاهى والكوافير والماركات التجارية الرائجة .

وكل شىء فى خدمة التجار ورجال الأعمال والشركات العملاقة نجوم العولمة القادمة وحكام المستقبل الجدد .. وعالمنا يتطور إلى الأسوأ بالنسبة إلى رموزنا القومية ولغتنا العربية وعاداتنا وأخلاقنا .

إنهم فى أمريكا وأوربا يعملون فى دأب من سنين ليجعلوا من أنفسهم « قبلة » نتوجه إليها صباح مساء وكعبة ثقافية نحج إليها

فى صلواتنا ومزارا مقدسا نسجد أمامه ونخلع أحذيتنا ونسبح لهم ولتقدمهم الليل والنهار .

وقد سبقونا إلى غزو الفضاء ومشوا على القمر وأنزلوا مراكبهم على المريخ واخترعوا الطائرة وصنعوا الدبابة وأطلقوا الصاروخ وحطموا الذرة وفكوا طلاسم الكروموزوم واكتشفوا « الجينوم » البشرى الوراثى .

ونحن ننظر إلى كل هذا فى انبهار .

ولا شىء يحمينا من هذا الانبهار والذوبان سوى تاريخنا وحضارتنا التى كانت المعلم والملهم للعالم كله فى الزمن القديم .

إذا كانوا هم الآباء فنحن الأجداد الذين أخذوا منا وتعلموا منا .

نحن كنا أول من قرأ وكتب .. وعلينا نزلت الأديان ومنا جاء الأنبياء والحكماء .

ونحن الذين حملنا للعالم أمانة التوحيد وكلمات القرآن والإنجيل والتوراة وراية لا إله إلا الله .

واليوم يصحو المارد اليابانى النائم فى أقصى الشرق ويفرك أجفانه .. ويفيق التنين الصينى من سباته .. وتدخل كوريا وتايوان وسنغافوره وماليزيا وعفاريت آسيا الصغار فى السباق ويحتدم الصراع وتتزاحم الرؤوس فى سوق التكنولوجيا والانتاج.

وندخل نحن نحبو ونزحف فى آخر الصف على استحياء .

ويختلط الحابل بالنابل فى هذه المعمعة .

كل واحد يحمل بضاعته وينادى على تجارته فى سوق العولمة الذى تقوده أمريكا وأوروبا .

ولا يبدو التنافس شريفا ولا السباق عادلا فالسوق العالمى تحرسه الاحتكارات الضخمة وتحكمه موازين القوى ومعظمها فى الأيدى الأمريكية ومن وراء ذلك .. القوى النووية .. يحتكرونها ويحرسون بها مكتسباتهم .

الدولار يحكم ..

والقوة الأمريكية تمسك بالزمام ..

وصاحب العلم الأكثر عنده الفرص الأكبر .. والباقون يقفون فى مؤخرة الصف .

والجاسوسية والاستخبارات وسرقة الأسرار والعدوان على الضعفاء هو القاعدة .

والعراق فى الأسر .. والقدس تحت الاحتلال .. والعرب فى الشتات .. والثروة البترولية فى أيدى الأقوياء وتحت حراستهم وإن كانت فى الظاهر ملكا للعرب .

والسلام معلن فى الظاهر .. ولكن الحرب الخفية مستعرة على جميع الجبهات .. إسرائيل تتربص بنا الدوائر وقد أقامت ترسانات من الأسلحة الميكروبية والقنابل الكيميائية والصواريخ النووية والغواصات والبوارج والأساطيل حاملات الرؤوس الذرية والطائرات المقاتلة والمنقضة من كل الأنواع .. والفائض من الأسلحة الأمريكية مخزون عندها .. وهى تعلن أن العتاد الحربى المخزون عندها أوفر وأقوى من كل الموجود فى الدول العربية مجتمعة .

وهى تفاوضنا من هذه القمة العالية المتعالية .. وكأنما تقول لنا من تحت مائدة المفاوضات .. إن الاستسلام أفضل .. وقبول الأمر الواقع أسلم وأكرم لكم ..

والصورة على اتساع العالم وخارج مائدة المفاوضات أكثر قتامة وسوادا . فالحرب معلنة على الإسلام والمسلمين فى كل مكان .. من البوسنة إلى كوسوفا .. إلى فلسطين .. إلى جنوب السودان .. إلى الشيشان .. إلى الصومال .. إلى أعالى النيل .. إلى أواسط أفريقيا .. وأمريكا وأوروبا تأخذ جانب الخصوم فى جميع الأحوال وتتهم الإسلام والمسلمين بأنهم حملة لواء الإرهاب وبأنهم رموز الفوضى والبدائية والرجعية والتخلف فى هذا العالم المتمدن .. وبأنهم أعداء السلام وأعداء التقدم .. سامحهم الله .

ويعلم الله كم ظلمونا .. فلا توجد فى الأسرة الدولية كلها .. مجموعة سلسة منقادة طيعة مثل الأسرة العربية المسلمة .. أسلمت قيادها وأسلمت نفطها وثرواتها للأيدى الأمريكية وللشراكة الأمريكية وللمستثمر الأمريكى والأوروبى وارتضت نصيبها من الكعكة وضاعفت الأجر مقابل ضمانات الأمن والحراسة والدفاع حتى لو كان المعتدى عربيا طامعا مثل صدام حسين وقادما من طرفهم ومدفوعا من الأمريكان أنفسهم وبمشورتهم .. وقد تغاضت الأسرة العربية الطيبة عن كل هذه المؤامرات .

وقد كفرت أمريكا عن تورطها فى مؤامرة حرب الخليج وضاعفت العقاب لصدام حسين وللعراق ولشعب العراق .. بدرجة وحشية أثارت التساؤل فى العالم العربى كله .. لماذا ندفع نحن دائما الثمن .. ولماذا تدفع الشعوب العربية جريرة ذنوب لم ترتكبها .. ولماذا تبتز أمريكا هذه الشعوب وهى تعلم أنها بريئة وأنها مقهورة .. ولكنه الظلم العجيب الذى يأخذ صورة العدل

والتنكيل الذى يأخذ صورة الجـزاء .. والعدوان الذى يلبس جلباب الدبلوماسية والسياسة .

وفى جبال الشـيشان تدور رحى حرب ظالمة مجـرمة أخرى .. وقد اختل ميزان العدالة فيها غاية الاختلال .

أحد الطرفين شـرذمة قليلة فقيرة تقـاتل بأسلحة بدائية وسط الزمهرير والجليد والثلوج وفى الطرف الآخر روسيا كلها بعتادها وأسلحتـها ودباباتهـا وصـواريخـها ومن ورائهـا أمـريكا تمدها بأموالها ودولاراتها لتـحارب حرب إبادة واستئصال لشـعب فقير يناضل من أجل حريته ..

اجتمع العماليق على قهر ضحية تحتضر .

والصور تأتينا عـبر الفضائيات مـؤلمة مستفزة فظـيعة تنضح بالظلم والجبروت .

ولا يملك المسلم المقهور من الغم إلا أن يرفع يديه فى ليلة القدر التى هى أعظم من ألف شـهر داعـيا الرب العادل الرحـيم أن يشل الجبابرة الروس بزلزال يقلب أرضهم خرابا يبـابا ويعيد الجبارين إلى صوابهم .. ويعيد كفة العدل إلى اعتدالها .

ولا يملك الضعيف إلا الدعاء .

وليس أضعـف من المسلمين اليـوم وقد اجتـمع عليهم الأحـمر والأصفر وتداعى الكل عليهم تداعى الجياع على القصعة .

ولكن لا شىء يبقى على حاله .. والأرض التى نسكنها تدور .. والأيام دول وللزمـان دورات .. وربنا من أسـمـائه أنه الخـافض الرافع وأنه لا يبقى على علو العالين ولا على جبروت الجبارين .

وغدا تنخفض رؤوس وترتفع رؤوس .. ويتغير كل شىء .

ماذا يبقى علينا أن نفعل الآن .. وماذا تبقى لنا من دورنا ..؟!!

تبقى لنا الصمود .. وأن نكون فى رباط .

وأقوى رباط لـلأمة العربيـة .. هو دينها ولـغتهـا وقومـيتـها ووحدتها .

وإسلامنا هو العصبة الجامعة الباقية لنا .

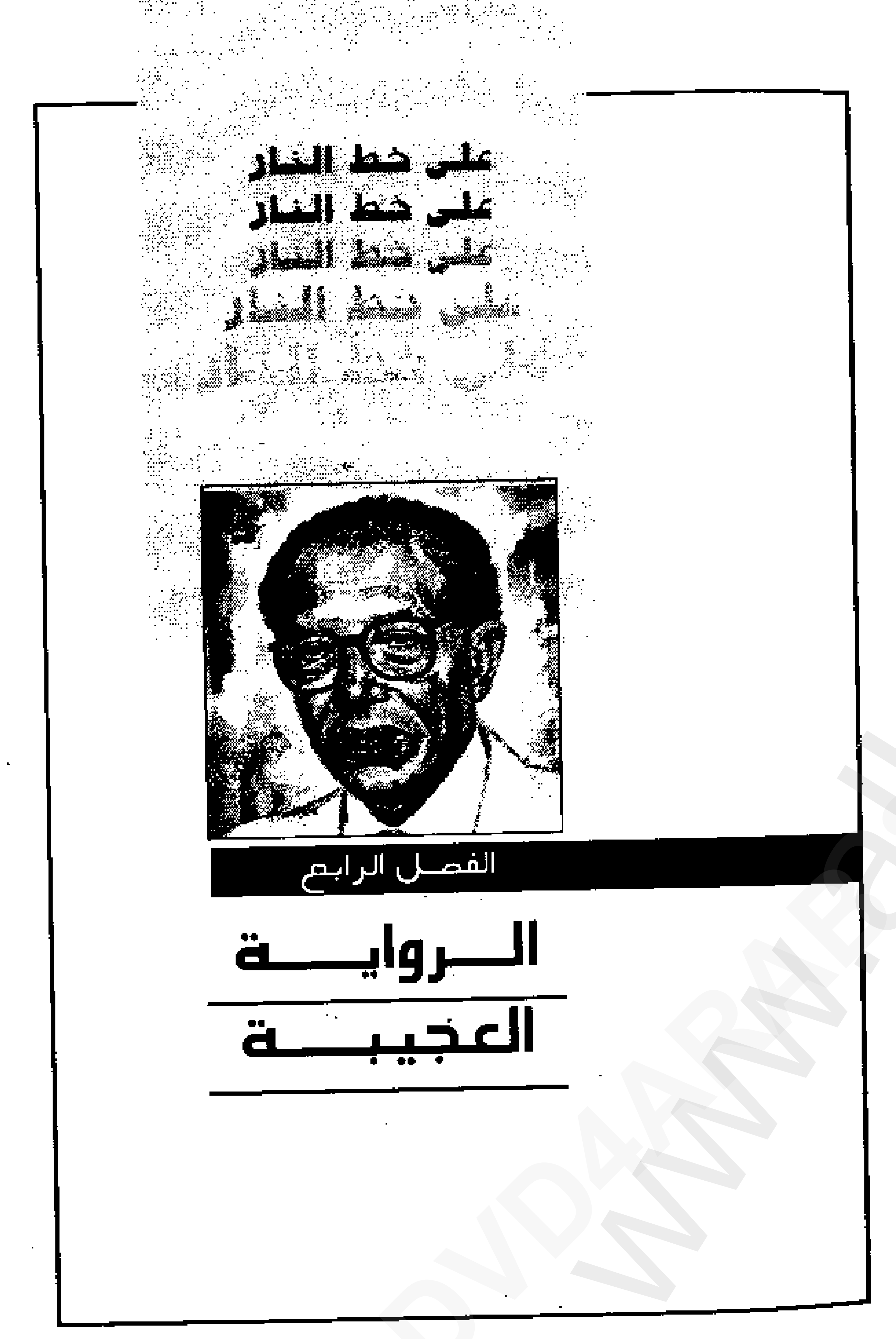
ومسلمو ونصارى مصـر يقفون فى خندق واحد ورباطهم هو قدرهم المقدور وإسرائيل تتحـدث عن السلام ولكنها تحتل الأرض وتبـاشـر العـدوان وتجـهـز آلة الحـرب وتلقى القنـابل على الفلسطينيين .

ولا تطبيع لنا مع هذه اللغة المزدوجة ولا مع هذه السياسة ذات الوجهين .. وأقل ما يوصف به هذا الفعل أنه دجل سياسى .

وإذا كانت إسرائيل تستعد .. فلا نملك إلا أن نستعد .

والله معنا ما دمنا معه .

والله لن يكون أبدا مع الكذابين شذاذ الآفاق .



الفصل الرابع

الرواية العجيبة

ماذا يحدث لو أننا أدرنا شريط الحوادث فى الخمسين سنة الأخيرة من تاريخ مصر وجلسنا نتفرج .. لا شك سوف نرى عجبا .. ثورة عبد الناصر وطرد الملك فاروق .. ومواكب الشعارات .. الاشتراكية .. العدالة .. الحكم للشعب وبالشعب .. انتزاع أراضى الإقطاع من أصحابها والمصانع من ملاكها وانتزاع وسائل الإنتاج من الأيدى المنتجة لتصبح ملكية دولة .. أصنام جديدة اسمها القطاع العام والتأميم والاشتراكية والتقدمية واليسار .. تفريغ كل الشعب فى دوسيه واحد تحت يد الحاكم .. لتصبح لقمتهم فى يده ورزقهم فى يده وبالتالى حريتهم فى يده .. وكعبة جديدة ومنارة جديدة اسمها الكرملين .. ومصدر إلهام .. اسمه .. الفكر الماركسى .

ندير الشريط بسرعة أكبر ونتفرج على القطاع العام وما حدث فيه .. ساحة كبيرة من الروتين والكسل واللامبالاة وفقدان الهمة وسوء الإنتاج والحل الاقتصادى يتحول بقدرة قادر إلى عجز اقتصادى .. ندير الشريط بسرعة أكبر .. عودة سريعة إلى الانفتاح وتصفية القطاع العام ومد الأيدى إلى القطاع الخاص .. نفعل ذلك فى بلادنا .. ويفعلون مثله فى روسيا وفى رومانيا وفى المجر وبولنده ويوغوسلافيا وفى كل معاقل اليسار .. العالم

يعود بخطوة واسعة من اليسار إلى اليمين .. ولكن بعد خراب مالطة .. موت عبد الناصر بعد هزيمة عسكرية منكرة وانهيار اقتصادى .. موت ستالين .. وسقوط السفاحين العظام واحدا بعد الآخر .. تشاوتشيسكو فى رومانيا وهونيكر فى ألمانيا ومنجستو فى أثيوبيا والشيوعى الآخر فى بولنده والرفيق المجرى فى المجر .. لم تدخل الثورات الاشتراكية فى بلد إلا وأتت معها بالسجون والمعتقلات وقطع الألسن والخراب الاقتصادى والحزب الواحد والرأى الواحد والتأميم والإفلاس .

مظاهرات اليسار فى عهد ديجول أشرفت بالاقتصاد الفرنسى على انهيار كامل .. واضرابات العمال فى انجلترا هبطت بالاسترلينى إلى الحضيض .

والإنقلابات الاشتراكية فى أنجولا وموزمبيق وفى باقى أفريقيا وأمريكا اللاتينية صنعت المذابح وأشعلت الحروب ونشرت البؤس والفقر حيثما حلت .

ندير الشريط بسرعة أكبر .. حرب العبور وانتصار ٧٣ وارتفاع العلم المصرى على سيناء وعودة الروح للمنطقة العربية .

الاشتراكية تتراجع فى العالم كله .. وقد بلغنا نهاية المد الاشتراكى .. وبدأ الجزر الرهيب .. هزيمة الشيوعية فى كل مواقعها .. وغروب الفكر الماركسى من العالم .

هل نذهب إلى الكعبة فى الكرملين .. لنرى ماذا حدث للشارع فى موسكو وما حدث للناس وللسلوكيات العامة ولطموحات المواطن الروسى العادى .

الهزيمة فى روسيا وصلت إلى النخاع والمواطن الروسى خلع

الثوب السوفيتى وخلع الايديولوجية السوفيتية ولبس الثوب الأمريكى والتفكير الأمريكى والطموحات الأمريكية .. الجينز والهامبورجر والمكدونالد والديسكو والعربات الفارهة والعنف والمافيا والمخدرات والقتل من أجل الدولار .. والنساء الروسيات خلعن لباس العمال الخشن ولبسن لباس الإثارة والسكس والرقص فى الحانات لما بعد الفجر ومضغ اللبان والمجاهرة بالشذوذ .. واحتراف الدعارة .. واليهود يقودون روسيا إلى دمار كامل .

غزو ثقافى مدمر .. وركوع للقيم الامريكية .. وعبادة للنمط الأمريكى .. وتسبيح للإله الأمريكى .. صاحب الجلالة الدولار .

ومثل هذا الغزو حدث بدرجات متفاوتة فى كل مكان من العالم .

وكانت السينما الأمريكية والأفلام الأمريكية والمسلسلات الأمريكية ورؤوس الأموال الأمريكية هى رأس الحربة فى هذا الاختراق الذى وصل إلى قلب باريس على ظهر « الديزنى لاند » الفرنسية لدرجة أدت إلى قلق الحكام الفرنسيين وأدت بالرئيس الفرنسى إلى التصريح بضرورة فرض قيود على دخول الفيلم الأمريكى خوفا على القومية الفرنسية والهوية الفرنسية .. بل وعلى اللغة الفرنسية التى تدهورت على لسان رجل الشارع وخالطتها الألفاظ الانجليزية والنطق الأمريكى والخنافة الأمريكية .

حالة من العامية الأمريكية والسوقية الأمريكية تنتشر ببطء فى أوروبا . وتتسلل عبر الحواجز لتصل إلى آسيا وتغزو الهند والفلبين وتايوان واندونيسيا والدول النامية وتصطدم بسور الصين العظيم فلا تستطيع اختراق القومية الصينية .. وفى

الصين يحدث العكس بمد العملاق الصيني يده ليسرق أغلى ما فى أمريكا .. التكنولوجيا والكومبيوتر .. ويأخذ من حرية التجارة ومن اقتصاد السوق قدر مصلحته .. ثم يرفض الباقي ويغلق على نفسه الأبواب .. وتفعل اليابان نفس الشيء ويتطور الاثنان إلى عملاقين .. كل واحد محصن داخل قوميته يقف منتصبا فى مواجهة أمريكا ليقول .. أنا هنا ..

والصين هى العملاق القادم الذى سوف ينافس أمريكا على القطبية .. وأمريكا تحسب لها من الآن ألف حساب .

أما إفريقيا فلا وجود لها على خريطة المنافسة .. واستراليا مجرد كوكب تابع لشمس الغرب .

أما شرقنا الأوسط السعيد فكله ملفوف بالراية الأمريكية المتعددة النجوم .. تقوده بالقروض والمعونات وبعصا إسرائيل .. وهو مخترق من القمة إلى القاع .

وقلاع العروبة والقومية والوحدة سقطت كالأشباح بهزيمة عبد الناصر .. والرمز الوحيد الباقى الذى يقاوم هذا الغزو الأمريكى الإسرائيلى المكتسح هو الإسلام . ولهذا تعلن أمريكا الحرب على الإسلام فى كل مكان ومعها قوى الغرب كله .

والإسلام بطبيعته غير قابل « للأمركة » وغير قابل للتهويد .. وهو خصم غير هين .

وكانت الحيلة الأولى للتغلب على الإسلام هى تشويهه بإلصاق تهمة الإرهاب والإجرام بكل ما هو إسلامى بدءا بمفجرى المركز التجارى الأمريكى .. وانتهاء بإمداد هذا المسلسل الدموى بالجديد من الانفجارات كل يوم .

وانكشفت الحيلة حينما اتضح أن الشيخ عمر عبد الرحمن دخل أمريكا بالكارت الأخضر وكان يتقاضى مرتبا شهريا من المخابرات الأمريكية .. وأن كل الإرهابيين كانوا يتلقون التمويل من أرصدة بالخارج.. وأن الإرهاب كله مصنوع.. وعصابته مستأجرة ومجندة .. وأنه صناعة أجنبية صهيونية مائة فى المائة .

وكانت الحيلة الثانية هى الالتفاف حول الإسلام ومحاولة إضعافه بإضعاف اللغة العربية التى هى وعاء الدين ووعاء القرآن بحجة تطوير مناهج التعليم وإصلاح التعليم والنهوض بالتعليم وهو ما قام به وزير التربية والتعليم فى بلدنا حسين كامل بهاء الدين بهمة غير مشكورة .

وقد نجح وحقق الكثير فى هذا الباب .. وضعف اللغة العربية الذى أصبح واضحا بين شباب المذيعين .. وطغيان العامية فى الشعر .. وسوقية الأغانى .. وضياع النطق العربى السليم .. كلها شواهد على ذلك ..

ولكن المعركة لم تحسم بعد .

وسوف تشهد السنوات القادمة هجوما مركزا على الدين ذاته وعلى التربية الدينية وعلى الإعلام الدينى وعلى القيادات الدينية وعلى اللغة العربية .. ورأينا طلائعها فى إعادة طبع رواية أعشاب البحر للشيوعى حيدر حيدر بما فيها من سفاهة وتهجم على الدين .

وسوف تلجأ الصهيونية وهى الخصم الجديد بعد سقوط الشيوعية إلى وسائلها القديمة .. إشاعة الانحلال ونشر المخدرات والجريمة والعنف والفيلم الهابط والفن الداعر والإعلام المخرب ..

والإفساد عن طريق الإنترنت وتهديد كل من يكتب فى حرية بتهمة المعاداة للسامية والتشجيع على الإرهاب .

وسوف نرى مزيدا من الكتب التى تعلى من شأن القيم الدنيوية وتكرس المادية وتروج للعلمانية وتشكك فى الدين وتهزأ بالغيب .. وسنرى نماذج من الحفاوة بأمثال سلمان رشدى ونسرين تسليمه ونصر أبو زيد وحيدر حيدر .

الغزو الثقافى سوف يتضاعف بقيادة سينما أمريكية مهيمنة تبث قيمها الهابطة وتروج للجنس والعنف والانحلال ..

والتطبيع سوف يحاول أن يحقن إسرائيل تحت الجلد ويحقن المكر الإسرائيلى فى الماء والهواء والغذاء الذى ناكله وفى الاقتصاد الذى نزاوله وفى التخطيط الذى نباشره وفى العقلية التى نسوس بها أمورنا ومن حسن الحظ أنه ما زال يتعثر فى بلادنا .

وبيوت الخبرة الأمريكية التى دمرت شاطىء الاسكندرية بفتوى صرف مجاريها فى البحر .. مثال حى سوف يتكرر فى كل مشروع وفى كل تخطيط مستقبلى إذا فتحنا الباب للأيدى الإسرائيلية لتعمل معنا وتفكر لنا .. بحكم التطبيع بلا تحفظ .. والثقة بلا حدود ..

إن إسرائيل التى أخرجت لغتها العبرية البائدة من القبر وتدثرت بها لتصنع لها هوية وقومية وإرثا تاريخيا من العدم لن تكتفى بأقل من السيادة والهيمنة .. لأنها وجود مختلق مصطنع لا يمكن أن يستمر فى الحياة إلا إذا امتص الحياة من كل ما حوله .. والستة ملايين يهودى إما أن تذوب فى الستين مليون مصرى

وهذا مستحيل (لأنها ضد الذوبان والانعدام) وإما أن تحاول أن تفكك هذه الملايين الستين إلى شظايا بالمكر والفتن .. وهو ما سوف يحاولونه .. ولا يوجد احتمال ثالث .. والذين يتصورون أن التطبيع فاتحة خير .. ينظرون بدون أعين ويفكرون بدون رؤوس .. والبعض من أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الأحلام فى ثراء سريع ومشاريع مشتركة هؤلاء الذين فرحوا بالتطبيع لا يرون إلا المصالح العاجلة تحت أقدامهم ولا يرون خطر الاحتواء الأمريكى الإسرائيلى على المدى البعيد ولا يشهدون الخراب الذى يخطط لبلدهم .

والسد الوحيد الذى يقف أمام هذا الطوفان الذى يدق على الأبواب هو الروح الدينية فى المنطقة العربية وفى مصر بالذات .

والدين فى مصر هو الذى شيد معجزة الكرنك .. وهو الذى انتصر على التتار وقهر الصليبيين وهو الذى عبر القنال فى حرب أكتوبر .. وهو وراء موقف التحدى الذى وقفته الألوف من المحجبات رغم المغريات المضادة ورغم التليفزيون والسينما ورغم الموجه العلمانية التى ما زالت تحاول أن تكتب على الماء وتنقش على الرمال .. والكل يشاهد ما يجرى فى صلوات العيد وكيف تمتلىء الميادين فى مصر بملايين الراكعين الساجدين المسبحين .

الدين فى مصر حقيقة راسخة .. إسلاما ونصرانية .. وكلاهما ضد إسرائيل .. ويخطىء الحاكم الذى ينسى هذه الحقيقة ويصدق كلام العلمانيين الذى ينصح بالمزيد من التطبيع والمزيد من التطويع والتركيع .

والذين يهرولون إلى الحضن الإسرائيلى يهرولون إلى حتوفهم .

ولا توجد مصالحة بين الوجود الإسرائيلى الذى جاء بالغزو والاغتصاب وبين الإسلام .. فكل منهما يرفض الآخر وبشدة .

والإسلام ضد القيم الدنيوية الانحلالية وضد حياة الغواية والشهوات التى تروج لها الأفلام الأمريكية والغزو الثقافى الغربى والمبادىء التلمودية .

ومع ذلك فالإسلام أبعد الأديان عن التزمت والتشدد فباب التوبة والاستغفار مفتوح للخطائين طول العمر إلى لحظة الحشرجة .. والقرآن يقول لهم إن الحسنات يذهبن السيئات .. وأن التيسير فى كل شىء هو الأصل والحلال فى كل شىء هو الأصل .. وأن الحرج والتشدد مرفوعان عن المسلم .

والتوبة فى الإسلام تمحو كل شىء حتى الكبائر .. حتى الشرك تجبه التوبة والإنابة .

والضرورات فى الإسلام لها اعتبار والظروف لها اعتبار .. فأكل الميته مباح للجائع إذا لم يجد أى وسيلة أخرى لسد جوعه ..

وهكذا فتح الإسلام الباب للعقول لتفكر وتجتهد دون تحجير ودون تشدد .. ولم ينصب المشانق والمحارق لأحد كما فعل البابوات لعلماء العصور الوسطى .

ولم يضيق الإسلام على المرأة بل وسع عليها .. والمرأة أيام الرسول كانت أكثر حرية منها الآن .. وكانت تخرج للحرب وكانت تعمل بالتمريض وكانت تجلس للفقه وكانت تشتغل بالقضاء وكانت شاعرة وأديبة

والإسلام شمل بعدله وبره المسلم والمسيحى واليهودى والمجوسى وامتدت مظلة رعايته لتحتضن الجميع .

والإسلام دين المستقبل ودين الديمقراطية والحرية والتعددية .. وأى مشروع حضارى لا يستلهم الإسلام وعطاءه لن ينجح فى بلادنا ولن تمتد له جذور فى شعبنا المصرى .

وقد فشل مشروع البعث العراقى السورى وفشل المشروع الاشتراكى الناصرى وفشلت الوحدة العربية التى استلهمت القومية العربية لأنها لم تستلهم عطاء الإسلام .

وسوف تتحطم إسرائيل الكبرى على صخرة الإسلام .

ولن ينجح الغزو الثقافى فى إدخال إسرائيل إلى القلوب .. فماذا تصنع الكلمات والأغانى والأفلام .. فى السر الذى وقر فى الأرواح وملأ الأفئدة وأضاء ظلمات النفوس .

إنها لا أكثر من رسوم على الماء ونقوش على الرمال .

وهى لا أكثر من ضباب يتبدد عند شروق شمس الوعى وعند أول ترنيمة المنادى .. الله أكبر ..

هل انتهى العرض .. ؟!

إنه يقترب بالفعل من نهايته .

والمشهد الختامى كان إعلان المجلس العلمى الأمريكى عن اكتمال تدوين « سفر الحياة » المعروف باسم « الجينوم البشرى » من ٣ مليارات حرف كيمائى تلخص مقدرات هذا الكائن اللغز .. الذى اسمه الإنسان .. مصداقا لقول الحق .. ﴿ إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ وقد قالها كلينتون فى خطابه .. لا ندرى هل قالها عن فقه .. أم .. أنها كانت مجرد فصاحة زعماء ..

فهذا السفر العجيب فى حجم أجزاء من المليمتر وباتساع خمسة ملايين صفحة يتحدى أن يكون له كاتب غير رب العالمين الذى أحاط بكل شىء علما .

فـمن كـان يمكن أن يكتب هذا السـفـر من قـديم من الأزل من ثلاثة مليارات حرف كـيمائى وقد خص كل حـرف بوظيفة ودور وشـأن فى حـيـاة هذا المخلوق .. ومـا سـوف يصـيـبـه من علل وأمراض وعجـز وقدرة .. ومن رتب هذه الأسباب على مسبـباتها ووقتها بأوقاتها وظروفها ومناسباتها .. إلا أن يكون هو الله القادر السميع البصير العليم بكل شىء ..

لقد بلغنا النهاية إذن يا سـادة .. وهذه بصمة الخالق العظيم .. وهذا بيـانه وبرهانه .. وآذنت الرواية بانتهـاء بإعلان المـانفسـتو الإلهى (فى لغتنا الجينوم البشرى) .

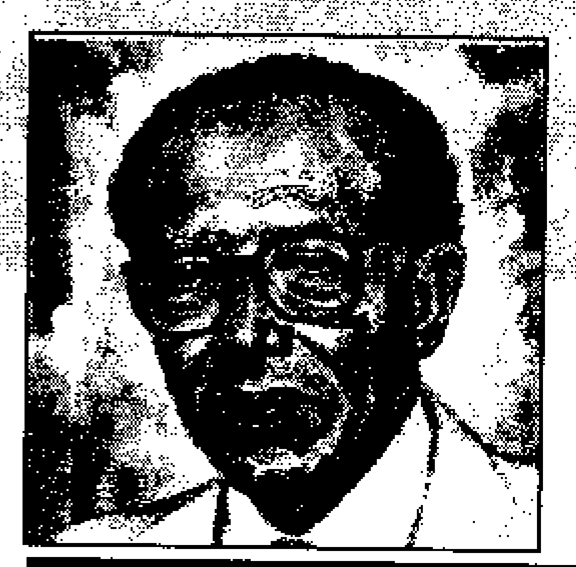
ولم يبق إلا القليل على كلمة الختام .

توبوا إلى الله جميعا .

واركعوا له واسجدوا .

فقد طلع فجر اليقين .

على خط النار
على خط النار
على خط النار
على خط النار



الفصل الخامس

أنا لا أكذب ولا أتجمل

« نسرين تسليمه » وجه جديد يظهر في بنجلاديش .. كاتبة متمردة تعلن عن رفضها للقرآن وللشريعة وتقول إن القرآن يجب أن يكتب من جديد لأنه ملىء بالأخطاء ..

وتقوم الدنيا ولا تقعد وتسير المظاهرات تحمل المشاعل وتطالب بإحراقها وتسير مظاهرات أخرى مضادة تؤيدها وتدافع عنها .

وتتلفت نسرين حولها تبحث لنفسها عن مخبأ أو ملجأ .. فماذا يحدث ؟؟؟!

الأبواب التي تفتح لها لتؤويها وتخفيها هي أبواب سفارة غربية لا يفصحون عن اسمها .. وأمريكا وانجلترا وفرنسا تعطيها حق اللجوء إلى أراضيها .. (فهي إذن سفارة لإحدى تلك الدول).. وتقدمها وسائل الإعلام الغربية على أنها رمز يقظة وصحوة فكرية في الشرق الرجعي المتخلف ..

وينتهي بنسرين المقام في ستكهولم في ضيافة جمعية نسائية ترفع شعارات حقوق المرأة (حقوقها في سب الإسلام والتهجم على مقدسات المسلمين) ويمنحها نادي القلم السويدي جائزة تقديرية .

وتذكرنا القصة بما حدث من سنوات حينما نشر الهندي سلمان رشدي روايته .. آيات شيطانية .. التي سب فيها الإسلام

ونبى الإسلام .. فقامت الدنيا واشتعلت المظاهرات فى أكثر من بلد إسلامى وسقط قتلى وجرحى وأعلنت إيران عن جائزة لمن يأتيها برأسه ..

من تحرك لنجدته فى ذلك الوقت .. ؟!

إنجلترا حامية الحرية (حرية كل من يشتم الإسلام) كالعادة.

وخصصت الحكومة الإنجليزية فرقة من بوليسها لتسهر على حمايته وحراسته ولترافقه فى كل مكان واجتمع مجلس اللوردات ليدين الهمجية الإيرانية وليحذر من أى عمل طائش يلجأ إليه المتعصبون الإسلاميون الرجعيون .

وفتحت جميع الجرائد والمجلات صفحاتها للإشادة بالنجم الروائى الجديد والموهبة الفذة .. سلمان رشدى .

ثم سمعنا أن روايته قد رشحت لجائزة نوبل رغم أنها بإجماع الذين قرأوها عمل ممل وثقيل لا يستطيع القارىء لها أن يكملها .

ترى هل لو شكك صاحبنا فى كتاب بوذا أو توراة موسى أكان يظفر بكل هذا المجد والشهرة والنجومية .

ترى لو شككت أديبة بنجلاديش .. بمزامير داود .. أكانت سفارات الغرب تسارع إلى احتضانها وإخفائها بكل تلك الهمة .

أكانت تسعى جائزة نوبل إلى أمثال تلك الكتب لو كان أصحابها يهاجمون مقدسات أخرى غير الإسلام

لا أظن .....

إن الحقد على الإسلام والضغن القديم على أهله هو جوهر القضية .. والتاريخ يحكى لنا مواقف مماثلة حينما ظهر « عبد البهاء » « نبى البهائية » يدعو لديانته الجديدة .. وفى دعوته أبطل

« عبد البهاء » فكرة الجهاد الإسلامية واعتبرها منسوخة كما أبطل الشريعة الإسلامية وقال فى الصفحة ٦٤ من كتاب « مفاوضات البهاء » .. لم يبق لتلك الشريعة حكم .. فماذا حدث فى ذلك الوقت .. لقد سارع القائد الإنجليزى ومنح « عبد البهاء » وساما يعبر به عن شكر الامبراطورية البريطانية وذلك حينما قابله فى حيفا عام ١٩١٧ .

ونفهم الدوافع أكثر حينما نتعمق أكثر وأكثر فى كلمات عبد البهاء وفى قوله أن أكثر فلاسفة اليونان تعلموا الحكمة من بنى إسرائيل .. وأن رسالة البهائية هى توحيد المسلمين والنصارى واليهود على أصل نواميس موسى .. وأن عمل موسى لا يساويه عمل فى التاريخ وسوف يأتى يوم لا يجد الناس كتابا ينقذهم إلا نواميس موسى .

ويطلق « عبد البهاء » على نفسه اسم « غصن » مشيرا بذلك إلى ما جاء فى التوراه (ويخرج غصن من جذع يسى أى من ذرية داود يرفع العلم الإلهى على جميع الأمم) .

ونلمس أثر التوجه اليهودى فى الديانة البهائية كلما تعمقنا أكثر فى تعاليمها وكذلك نلمس تلك الآثار فى جماعات المورمون وقديسى الأيام الأخيرة وجماعة شهود يهوه .

وقد بدأت جماعة شهود يهوه فى أمريكا باسم جمعية جلعاد .. ثم جمعية تلاميذ التوراه .. ثم انتشرت فى الوطن العربى باسم شهود يهوه .. ومن أبرز أعضائها تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية .

وشهود يهوه لا يؤمنون بقيامة الإنسان بعد موته فلا قيامة

إلا قيامة مملكة إسرائيل ولا بعث إلا بعثها أما خلود الروح فهو خرافة روجتها بابل الزانية ونفس الترحيب نراه حينما يظهر نبى القاديانية فى الهند .. فنرى الحاكم الانجليزى يرعاه ويبسط عليه حمايته ويغرقه هو واتباعه فى الامتيازات .

إنه الحقد القديم على الإسلام وتعاليمه ونبيه .

وأنا لست ضد اليهودية كدين ولا ضد اليهود فاليهودية شأنها شأن المسيحية والإسلام دين سماوى عظيم وموسى فى القرآن من الأنبياء الكبار من أولى العزم .. واليهود فيهم العلماء والفنانون وأصحاب الرسالات الإنسانية وهم أشقاؤنا وأخوتنا فى العائلة الإبراهيمية ولكنى ضد الصهيونية لأنها مبدأ عدوانى توسعى يقوم على مزاعم كاذبة وصك ملكية توراتى مزيف يهدف إلى إقامة إسرائيل كبرى على أشلاء دول عربية لها وجود وحرمة ومصداقية فى هيئة الأمم المتحدة .

والعجيب أن الصهاينة الكبار الذين أسسوا المذهب والذين يلوحون بهذا الصك التوراتى لا يؤمنون بالتوراة ولا بموسى ولا برب موسى .. بل هم ملاحدة لا يؤمنون ببعث ولا بآخرة .. وقد أعلنوا إلحادهم .. مثل تيودور هرتزل وبن جوريون .. وإنما هم سياسيون أصحاب فلسفات سياسية وأطماع توسعية ومفكرون أصحاب نظريات مثل ماركس وانجلز ولينين ..

وللصهيونية صحف وكتب ومنظمات ضغط بلا عدد فى الكونجرس وفى دور النشر وفى وزارات الإعلام وفى شركات التليفزيون والسينما والمسرح وفى كل منافذ صنع القرار .

والصهيونية أخطبوط سرطانى منتشر لا يسلم موقع من

امتداد ذراع من أذرعه الملتفة لتحيط به وتسيطر عليه وتتحكم فى أهله .

ومن ضمن تلك المنظمات الكثيرة هناك منظمة تسمى نفسها ANTI DEFAMATION LEAGUE أو المنظمة المعادية للتشهير .. وهى تتابع وتطارد كل كلمة تفضح الصهيونية وتسىء إليها .. فإذا كتبنا عن التآمر اليهودى الصهيونى وأياديه الخفية وراء حرب ٦٧ واستدراج عبد الناصر إلى هزيمة الأيام الستة واستدراج صدام حسين إلى حرب إيران والكويت .. اتهمونا فى مطبوعاتهم بالتشهير وبأننا معادون للسامية .. مع إننا شعوب سامية مثلهم وكل العرب سلالات سامية .. ونحن لم نكتب افتراء ولا تشهيرا .. وإنما سجلنا وقائع ممكن أن يختلف المؤرخون فى تفسيرها ولكن لا يتهم أحد منهم الآخر بالتشهير وما قولهم إذن فى إتهام الإنجيل بصريح آياته لليهود بالتآمر على المسيح (وقد طبعوا أناجيل جديدة حذفوا منها تلك الآيات) واستصدروا من الفاتيكان وثيقة تبرئة تغسل أيديهم من ذلك الإثم .

ونجحت منظماتهم فى تحريف النص الإنجيلى وفى حذف وإضافة ما يعجبهم .. فما قولهم إذن فى مقتل اللورد أوين وفى مقتل الكونت برنادوت .. وفى مقتل أربعين من المسلمين الركع السجود فى مذبحة الحرم الإبراهيمى .. وفى مذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا وكفر قاسم وفى إشعال فتنة الحرب الأهلية التى ظلت تحصد الأرواح اللبنانية لمدة ست عشرة سنة على أمل تفتيت لبنان وغزوها (وقد حدثت محاولة الغزو بالفعل) .

ثم آخر تلك المذابح .. تفجير كنيسة سيدة النجاة واعتراف

المتهمين وانكشاف دور الموساد الإسرائيلي واشتراكه بالمال والسلاح بهدف إشعال الحرب بين المسلمين والمسيحيين من جديد .. ثم الغارة الأخيرة التى اعتذرت عنها إسرائيل والتى هدمت منازل اللبنانيين فى الجنوب وقتلت اللاجئين اللبنانيين فى خيام الأمم المتحدة ذاتها فى قانا .

من يبرئهم من هذه الجبال من الآثام والجرائم والمذابح .

وإذا كانوا حريصين على تحسين صورتهم فليحسنوها بأفعالهم أولا قبل أن يحسنوها كذبا وزورا بأقلامنا فنحن لا نستطيع أن نبدل الوقائع ولا أن نغير الحقائق ولا أن نسمى قتل الأبرياء فضيلة ولا أن نسمى المذابح أعمالا صالحة .

وقد يتجمل الساسة ويقول الواحد منهم ما لا يبطن ليكسب جولة مع خصمه .. والسياسة ميكيافيلية بطبيعتها .. وهى تلف وتدور لتصل إلى أهدافها ولكننا لسنا ساسة ولا رجال دولة وإنما نحن رجال قلم .

والقلم أمانة .

والقلم لا يكذب ولا يتجمل .

وعلى من يريد أن يجمل صورته أن يجملها بفعله لا بأقلامنا .

وبلادنا ديمقراطية فيها تعددية حزبية وحرية رأى .

اليست الحرية .. هى النظام الأمثل الذى تدعوننا إليه .

ها نحن ديمقراطيون نتفق ونختلف ونقول رأينا بصراحة فى كل شىء وكل واحد منا يمثل نفسه ويمثل ضميره ولسنا أبواقا لحزب ولا لجماعة ولا لأحد .

والتلويح بتهمة العداء للسامية فى هذا المناخ المفتوح يبدو غريبا .

هل كان الله عدوا للسامية حينما لعن اليهود الذين خانوا وغدروا بالمواثيق وهل تطالب جماعات الضغط اليهودية برفع تلك الآيات من القرآن وتطالب بكتابة القرآن من جديد .. وهل تعلن الحرب على الله لأنه قال هذا الكلام .

إننا نريد السلام .. ونريد بشدة أن نصدق السلام الذى يدعوننا إليه .. ونريد بشدة أن نحتضن الأخوة وأبناء العم من سبط إبراهيم العظيم أبى الأنبياء ونريد بفرحة أن نقول .. أخيرا اجتمعنا وأخيرا تصافينا بعد طول فراق ونحن نريد الحياة فى محبة وسلام .

فماذا تريدون أنتم .

وكيف تعبرون عن تلك الإرادة .

هذا هو السؤال .

وبكل المحبة اسألكم .

ورقة الإرهاب

أعلنت محطة .B.B.C لندن أن جولة وزير الخارجية الأمريكى وارين كرستوفر سوف تتضمن زيارة خاصة إلى سوريا فيها لفت نظر إلى الدور الإرهابى لحزب الله الذى تخطى الحدود وإلى الأسلحة التى تأتى من إيران لحزب الله عبر سوريا لتستعمل بعد ذلك فى تفجير المؤسسات اليهودية فى الأرجنتين وفى لندن .

وهذا الاتهام لإيران وسوريا عملية بلطجة أمريكية بدون أساس من الواقع فالأرجنتين أعلنت أنها لم تجد دليلا واحدا يشير إلى إدانة إيران .. وانجلترا بادرت بالمثل إلى تبرئة إيران .. وقالت

إنها لم تعثر على بينة تدينهـا .. ثم عادت الأرجنتين بعد مزيد من الضغط الأمـريكى إلى إثارة الشبهـات حول بعض الدبلوماسـيين الإيرانيين .

وأمريكا بهذا تخطط لخلق لوكيربى جـديدة تضرب بها حصارا دوليا حـول إيران وفى نفس الوقت تهدد سوريـا بالتلويح لحافظ الأسد بورقة الإرهاب ليسير على الخط المطلوب ويسارع بالتوقيع على مـشـروع السـلام الإسـرائيلى .. وإلا .. فـإنه سـوف يلحق بالقذافى .

وأخـذ الناس بالشبـهات .. وأخـذا الدول بالشبـهات .. أصـبح الأسلوب الأمـريكى الجـديد للتـحـرش بكل من يخـرج عن الخط المطلوب من الأفراد أو الزعامات أو الدول .

وعصـا قطع المعـونات وتوقيع العـقوبات وحـصار الشـعوب وحظر نزول الطائرات وإقـلاعـهـا هنا وهناك .. أصـبح التـهـديد المرعب المعلق على رأس كـل من يقف أمام النظـام العالمى الجـديد وأمام الأطماع الإسرائيلية .

وأمريكا وإسرائيل أصبحتا استراتيجية واحدة ودولة واحدة .. وعلى من يفكر فى التصدى لإسرائيل أن يواجه أمريكا أولا .

فى هذا المناخ الإرهابى تعيش الدول العربية والزعامات العربية ويتحرك الاقـتصاد العربى والمسـتقبل العربى والآمـال العربية .. الكل تحت الحصار والكل فى مرمى التهديد .

وذلك هو العلو الإسرائيلى الذى جاء ذكره فى القرآن .

﴿ وقضـينا إلى بنى إسرائيل فى الكتـاب لتفـسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ [٤ : الإسراء] .

ويحكى القرآن حكاية الإفساد الأول التى حدثت فى الماضى ثم يقـول لليـهود ﴿ ثم رددنا لكم الـكرة عليهم وأمـددناكم بأمـوال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾ [٦ : الإسراء] .

والنفير هنا هو تـعبير دقيق وبليغ عن الصـوت المدوى لأجهزة الإعلام التى تمطرنـا بالدعايات المضللة وبالإعلام المـنحل وبالغزو الثقافى .. وهو نفير يصل إلى كل الأسماع .

والإمداد بالأموال والبنين بـلغ أقصاه بسيل المهاجـرين اليهود من كل مكان فى القارات الخمس .

وآيات وعـد إسرائيل وعلوها ونهـايتهـا اختلف فى تفـسيـرها المفسرون واختلفوا فى زمن ذلك العلو .. ولكن ذكر كلمة « النفير» اليهودى الإعلامى والمدد المتدفق من الأموال والبنين .. يدل على أن الآيات تتـحدث عن هذا الزمـان الذى نعـيشـه والذى تتـدفق فيـه الهجرة اليهودية ويرتفع صوت النفيـر الصـهيونى الإعلامى فيبلغ الآفاق ..

وسـبحـان من عنده مـفاتيح الـغيب .. ومن بيـده مـقاليـد كل شىء .. ومن يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء .

على خط النار
على خط النار
على خط النار
على خط النار



الفصل السادس

حقوق المرأة
وما يخفي وراءها

ما زال الضغط العالمى من خلال مؤتمر المرأة يعاود الإلحاح على شرعية الحقوق الجنسية للمرأة وعلى حرية المرأة التامة فى إشباع رغباتها الجنسية بالكيفية التى تختارها .. من خلال الزواج .. أو خارج مؤسسة الزواج بالعلاقات الحرة أو باختيار الشذوذ أو البغاء أو الاحتراف أو التكسب .. باعتبار أن ما تفعله المرأة بجسمها هو من خصوصياتها .. وحقها فى الحمل أو الإجهاض هو من حرياتها .. ولا يجوز لأحد أن يحجر على هذه الحرية .. وحق المرأة فى الميراث لا يكون نصف الرجل كما فى القرآن .. بل هى ترث بالسوية مع الرجل .. وعلى الحكومات أن تقوم بتعديل قوانين المواريث بما يتفق مع هذه المساواة .. فهذا هو النظام العالمى الجديد .. وهذا هو التمدن والتطور والعدالة المثلى ..

وفضائيات أوروبا وأمريكا وقنوات الإنترنت وأفلام العرى تدخل البيوت وتقتحم غرف النوم لتجعل من هذا العهر والفحش عادة معتادة وسلوكا مستحبا تنشأ عليه الأجيال الجديدة ويتربى عليه الأطفال والأولاد والآباء والأمهات ويشاهدون زواج الرجال بالرجال وزواج النساء بالنساء وحفلات الشواذ تقوم بها كنائس متحررة عصرية ورجال دين جدد ملتحون يمارسون هذه الطقوس بوقار وشرعية .

وما كانت تروجه الماسونية في الماضى في الخفاء وما كانت تدعو إليه بروتوكولات آل صهيون همسا فى كتبها وتعاليمها .. نراه يتحقق جهارا نهارا فى هذا النظام العالمى الجديد .. وكأنما هذا النظام نظامها وكأنما هؤلاء الرجال رجالها .. لا يبقى إلا أن يضعوا الطاقية على رؤوسهم .. لنعرفهم بسيماهم ..

ولا شك أن الفساد قديم فى العالم من أيام لوط وما قبل لوط .

ولكن الجديد فى فساد هذا الزمان أنه يجرى الترويج له بوقار شديد وتحت مسميات علمية رفيعة تقدمية وتنويرية باعتباره إنقاذا للمرأة المستعبدة واستعادة لحقوقها المهضومة وتأكيدا لحرياتها الضائعة وبشيرا بإنزالها المنزلة الكريمة التى هى جديرة بها .

والاسم الجديد لهذا الانحلال هو التحضر .. والتمدن .. والتحرر .. والتنوير .

وهذه التوصيات المخجلة يتقدم بها رؤساء حكومات وسفراء ودبلوماسيون كبار وتُقدم فى صياغات فلسفية باعتبارها تنويرا وتمدينا للمتخلفين أمثالنا .. تماما كما قدم لنا الشيوعيون الزبالة الأدبية لصاحبهم فى روايته أعشاب البحر على أنها إبداع ووصفوا « سبه للدين » على أنه تنوير وتقدمية ..

إنها جماعة واحدة تتحدث بلغة واحدة وإن اختلفت الألسن وتعددت الوجوه .. وتعددت الجنسيات .. فهم أبالسة هذا الزمن الردىء وشياطينه .. وهم جيوش العملاء الذين يعملون فى خدمة الاستعمار الجديد مثل أنطوان لحد وعصابته .. ومصيرهم مثل مصيره .. ونهايتهم كنهايته ..

ولكن الظاهرة هذه المرة عالمية والكارثة شاملة .. إنها حمى تنشر عدواها فى العالم كله عن طريق إعلام مفترس وصحافة مُضلة .. وإسرائيل تنسحب من لبنان .. ولكنها تغزو أراضى جديدة فى الصين وآسيا وأوروبا .. وتزرع أعشابها البحرية فى شواطئنا .. وتزرع أفكارها الهدامة فى حديقتنا الخلفية .

والفساد يُطل من كل نوافذ الإعلام .. ومن الكتاب .. ومن الصحيفة .. ومن الفيلم العارى .. تحت مسميات الثقافة والتنوير والتحرير .. والكل فى حرب .. وفى التحام مستمر .. مع مؤثرات بلا عدد .

والعقل العربى فى صراع يومى مع القضايا التى تُطرح عليه كل يوم .

وهو فى صراع يومى مع عملاء الغيبوبة ومع سماسرة الفساد ودعاة المجد الزائف والكسب السريع ومع سلطان اللحظة وحجاب الحاضر الكثيف الذى ينسدل على العيون فلا ترى إلا « الشبر » الذى أمامها .. والجماهير منساقة فى قطعان شبه مخدرة وراء إعلام كاذب مضلل ..

إنه شىء أشبه بالعمى الليلى والضبابية التى قاد إليها الكل شعوبا وحكومات تحت شعارات كاذبة وعبارات مزوقة .

وما يقال أنه حقوق للمرأة هو فى الحقيقة سلب لحقوقها وامتهان لقيمتها وتضييع لأمومتها .. وما يقال أنه ارتقاء هو فى الحقيقة تدمير للأسرة وهدم لها من أساسها .

إنهم فى أوروبا يعلمون أنهم سائرون إلى العقم والفناء بسبب قلة النسل .. وتعداد الأجناس البيضاء فى هبوط سنة بعد سنة ..

وهذا هو الحال فى ألمانيا وفى فرنسا وفى دول الشمال .. الدنمرك وهولنده والسويد والنرويج وفنلنده .. وفى شعوب الشمال الأمريكى وكندا .. والقوى العاملة فى هذه البلاد أكثرها من دول الجنوب ..

وهم يعلمون أنهم صائرون إلى فناء .. وأننا الوارثون .. فقراء العالم هم الوارثون فى النهاية ..

واليهود أكثر الجميع إدراكا لهذه النهاية فهم يعلمون أنهم قلة .. وأنهم ينقرضون ..

والموجة الانحلالية التى ينشرونها فى العالم هى رد الفعل الكيدى بسحب البساط من تحت أقدام الشعوب كثيرة النسل .

وحكاية حقوق المرأة هى الفبركة الفلسفية لتدمير الأسرة وحصار الإنجاب الكثير والمواليد بلا عدد فى الشعوب الفقيرة .. لتسلم لهم السيادة والقيادة والريادة .. وهم يتعلقون بالمركب الصينى قبل أن يغرقوا .. لأنهم يعلمون أن الصين هى المرشحة لقيادة العالم فى السنوات المقبلة فهى الأكثر نسلا .

والقوى العاملة فى الصين هى الأكبر فى العالم كله ..

إنها السفينة الآمنة حينما يطم الطوفان ..

وما قيل فى مؤتمر السكان السابق فى بكين .. وما يروج له فى موضوع حقوق المرأة الآن .. هو دخان التعمية والتضليل لحجب هذه الحقائق وستر هذه الأسباب .

و « العولمة » هى المنشور الدعائى اليومى لتظل عصا القيادة أطول وقت ممكن فى يد المايسترو الأمريكى .. الراعى الأكبر للمصالح اليهودية .

إنها فى النهاية مصالح ومكائد وليست فلسفات .. وهى تضليل للشعوب الفقيرة وليس تنويرا لها ..

إن البضاعة الفكرية فاسدة والأطعمة مسمومة والذين يقومون بتسويقها علينا هم أعداؤنا لا أصدقاؤنا .

إنها مثل الهامبورجر الملىء بالدهون السامة والبكتريا القاتلة الذى تروج له الإعلانات وهو يحمل المرض لأولادنا لا الصحة .

وسموم الفكر أخطر فهى تسمم العقول وتعمى الأبصار .

والتضليل الإعلامى أفدح فى آثاره فهو يحول الأرض الآمنة إلى حقول ألغام . وعلينا أن نضع مرشحات على عقولنا وفلاتر على آذاننا وفلاتر على عيوننا . علينا أن نقرأ ما ينشر علينا بعقل ناقد ونبصر ما يعرض علينا بعيون ناقدة ونتفهم ما يقال لنا برؤية ناقدة .. فلا شىء برىء فى هذا الزمان .. وإنما هى فخاخ ومصائد وفرق مقاتلة .. كل فرقة تروج لمصلحتها وتدعو لمذهبها .

وعلى الماشى أن يفكر مرتين .. أين يضع قدمه .. فالمطبات كثيرة .. وما أسهل أن تزل القدم .

واقرأوا المقال من أوله .

وفكروا فى هدوء .. ولا تأخذوا الأمور بظاهرها فالفساد يدق بأنامل ناعمة على أبوابنا .. ويدعى أنه الإصلاح .. وأنه رسول التنوير وأنه الهادى إلى صراط الله المستقيم .. وأنه الدليل الوحيد إلى الحياة السعيدة .. والأوصياء الكبار على العالم لهم مصالح ولهم أهداف ولهم أغراض ولا أحد يفكر فى مصالحنا كأمم نامية .. وإنما جميعهم يرون أننا ما خُلقنا إلا لخدمتهم وأن علينا

أن نظل دائما القـوى العاملة الرخـيصـة التى تخـدمهم .. وأن تظل أرضنا مصدرا للطاقة وللمواد الخـام لصناعاتهم الفائقة التطور .. لتُصدر إلينا بعد ذلك بمائة ضعف ثمنها وأحيانا بألف ضعف .

نحن الآن « البروليتاريا » الجديدة .

وفائض الـقيمـة الذى كان يقـول كارل مـاركس أنه يذهب إلى جيوب أصحاب رأس المال .. هو الآن ألف ضعف أيام زمان .. وما خفى كان أعظـم .. وهو يذهب كله إلى أوروبا وأمريكا وإلى الدول الكبرى وإرثة الاستعمار .

وثورة البروليتاريا لإصلاح الأوضاع كما حدثت فى زمانها لم تعد ممكنة الآن فـالأوصياء الكبـار هم الآن أصحاب مـخالب ذرية وقـبضـات نووية .. وهم الآن أصحـاب المنتـدى النووى وملاكـه الوحيـدون .. وهم يجلسون على قـواعد صاروخيـة تكفى لنسف العالم .

والحروب سوف تفجر الكوكب الأرضى كله إذا قامت ..

والحل الوحيد الباقى والممكن .

هو أن نفتح عيوننا ونعى وندرك ونتعلم .

« العلم » هو سلُم الحـبـال الوحيـد الآمن لنخـرج به من قعـر جهنم إلى سطح الحياة ونصبح مثلهم مالكين لمصائرنا .

الوعى بحقيقة أوضاعنا .. وما يحاك لنا .. وما يراد بنا ..

تعرية الأمور على حقيقتها ..

وفهم حقيقة المؤتمرات وخلفياتها وأهدافها ومراميها ..

لا تصدقوهم .. فإنهم يُلبسون كل شىء لباس المصلحة العامة..

وهى دائما « مصلحة خاصة » لحسابهم .. وخسارة علينا .

ولا نمانع أن ينتفعوا .. على أن ينتفع الكل .

ولو صدقوا وتكاتفوا وتعـاونت كل الأيدى بالسوية لجعلنا من دنيانا جنة .

ولكن هيهات .

فما أرادها خالقها إلا امتحانا .

والجنة بعد ذلك لن تكون إلا عنده للفائزين فى امتحانه ..

وأسعد السعداء فى هذه الدنيا هو من يفهم .

وحسبنا أن نفهم ونعقل ونبصـر الحفرة التى تُحفر لنا فلا نقع فيها .

وهو أقـصى ما أتمناه لى ولكم فـنحن الأفارقـة لم نَعد القُـوى التى تُسير العالم .. وإنما العالم يُسيره الشياطين الكبار .. هذا ما يبدو فى الظاهر .. أمـا فى الحقيقة فـإن الله هو الذى يقودهم إلى حتوفهم دون أن يشعروا .

وهم فى دوار المجد والرياسة يرون الدنيا تستجيب لإشارة من أيديهم فيظنون أنهم ممسكون بأعنتها فتأخذهم سكرة النصر أكثر فأكثر فيزدادون غرورا ويزدادون تجبرا ويزدادون تألها واختيالا.

لقـد امتـلكوا العلم وزرعـوا قلوب الموتى فى صـدور الأحيـاء واكتـشفوا الجـينات وهندسوا الوراثة وجـابوا الفضـاء وأسقطوا مـركبـاتهم على المريخ وخـرقوا قـوانين الفطرة فـتزوج الرجـال بالرجـال وتزوج النساء بالنسـاء وجـهروا بالفـحش فى نواديهم وأعلنوا الكفر وباشروا العهر.. ولم يبق إلا أن يأتيهم أمر الله بغتة فيفجأهم .. ذلك الأمر القديم قدم الزمان من أيام عاد وثمود ونوح وصالح .

أو تأتى النهاية فيطوى الله السماء كطى السجل للكتب .

أو يأتى الموت فـتـقف الكلمـة فى حلوقـهم وتجحظ عـيـونهم وتتقطع أنفاسهم .

هكذا .. كما تجرى سنن الحياة فى الأرض ..

وهو أمر .. ما أكثر ما شاهدوه .. ونسوه ..

وهو أمر .. من كثرة تكراره .. أصبح أمرا عاديا ..

ولكن سـاعـتـهـا لن يكون عـاديا وإنما سـينزل عليـهم نزول الصاعقة .

وسعداء هم الذين حسبوا حساب هذا اليوم .

وأرجو أن نكون منهم .

وأرجو أن تكونوا منهم .

فسوف يختلف المصير بعد ذلك بما لا يقاس .. فما أكثر ما نعلم عن حياتنا وما أكثر ما نجهل ما بعدها .. فبعد أن ينطوى الزمن .. يبـقى الأبد .. وهو كل شىء .. ذلك الظلام الدامس الذى يكتنف ما بعد الموت .. ماذا هناك وراء الغيب المطلسم .

أهو نعيم ممدود .. ولا موت .. ؟!!

أم هو عذاب ممدود .. ولا موت ؟!!

وما أبعد الفارق .

وليس صحيـحا ما يظن المجرمون بأن رقدة القـبر هى النهاية وأن الموت هو الختـام الذى ليس بعده قـيام وأنه لا حـساب هناك ولا دينونة ولا مساءلة وأنه بعد أن يهـال التراب على الجثة سوف يهال التراب على أعمال صاحبها ولا يبقى من تاريخه شىء .. فهو من العدم جاء وإلى العـدم يعود .. وهو كلام العدميـين العلمانيين أهل هذا الزمان ..

وكلام أصحاب الأمانى من كل ملة بأن أنبياءها سوف يقومون لله شفعـاء ووسطاء لأقوامهم وأن ما نراه فى الدنـيا من وساطات ومحسوبيات وشفاعـات والتماسات سوف يتكرر فى الآخرة على نطاق أوسع وأشمل .. وهى أمـانى لا يقوم عليهـا دليل .. والقرآن ينفى هذه الأمانى نفيا قاطعا .. ويـصف هذا اليوم بصفات قطعية نافية لأى شك .

﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾ [الانفطار] والآية تنفى أى احتمال للتدخل .

﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ [٤٤ : الزمر]

وهذا يعنى أن الشفاعة مملوكة لله وحده .

﴿ ما من شفـيع إلا من بعد إذنه ﴾ (والمعنى أن المرجع هو الله وحده) [يونس : ٣] .

﴿ ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا ﴾ [٢٦: الكهف] . أى أنه لا يوجد دفاع ولا غرفة مداولة فى محكمة الآخرة وإنما الله وحده هو صاحب الأمر والحكم .. هو وحده .

﴿ وإليه يرجع الأمر كله ﴾ [هود : ١٢٣] .

﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ [آل عمران : ١٠٩] .

﴿ بل لله الأمر جـميعـا ﴾ (والمعنى أن جمـعية الأمـر كلها فى يده) [٣١ : الرعد] .

﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ [٤ : الروم] .

ولا أرى بعد كل هذا مدخلا لأى سلطة غير الله فى هذا اليوم .

وفى سورة الأنبياء الآية ٢٧ .. يقول ربنا عن الأنبياء والملائكة الكبار .. أنهم

﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ (لا أحد يجرؤ أن يسبق الله بكلمة) .

وبأى صفة إذن سوف يتدخل الأنبياء أو الملائكة ؟ بصفة أنهم أرحم من الله ؟!! كيف !

وهو الذى وصف نفسه بأنه سبحانه .. ﴿ أرحم الراحمين ﴾ .. استحالة .

أم بصفة أنهم أعلم من الله .. وهو الذى يعلم السر وأخفى .. لم يبق لهم سبب يتعللون به .

ونترك أصحاب الأمانى لأمانيهم .. ونعلم أن أصوات احتجاجاتهم سوف تتعالى وأن صخبهم سوف يزداد .. وأن جدالهم لن ينتهى .. ولكن صحيح القرآن هو الذى يقول هذا الكلام .

ونفوض الأمر إلى صاحب الأمر ونفوض الغيب لمالك الغيب .. ونقول .. هو اجتهادنا ولا نزيد .. ونؤكد للجميع بأننا ما استهدينا أوهامنا بل استهدينا القرآن وكلماته التى لا يأتيها الباطل من أى طريق .. لأنها محفوظة بجمعية الأسماء الإلهية كلها .

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

والمتكلم فى ﴿ إنا نحن ﴾ هى الذات الإلهية فى جمعية أسمائها الإلهية كلها .

وجبريل كبير الملائكة يصفه الله بأنه ﴿ شديد القوى ﴾ .

فما بال الله نفسه سبحانه .

وما بال الذات الإلهية فى جمعيتها الأسمائية .. وذلك هو الركن الشديد الذى لا يقدر عليه أحد .

وكيف يتأتى لقوة فى الأرض أن تغير حرفا فى كلام الله ..

إن المسيح عليه السلام يخاطب رب العالمين فى سورة المائدة الآية ١١٨ مستشفعا لقومه فى أسلوب غاية فى الأدب والتهذيب فيقول .. ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .. لا يقول الغفور الرحيم فيكون فى كلامه شبهة وساطة بل يقول فإنك أنت العزيز الحكيم .. أى العزيز المستغنى عن عبادتهم وطاعتهم .. فماذا كان جواب رب العالمين .. قال الله ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ .

أى هذا يوم الفصل ويوم الحق الذى لا يستوى فيه صادق وكاذب .. فكيف يستوون .

فالقضية ليست قضية أنى محتاج إلى عبادتهم أو مستغنى عنها .. القضية قضية .. أن هذا هو يوم الحق الذى لا يُقضى فيه إلا للحق وبالحق .

ويتكرر هذا المعنى فى آية مشابهة وفى موقف مشابه وذلك فى سورة سبأ الآية ٢٣ يقول ربنا ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير ﴾ إذ يسأل الملائكة حينما يفتر عنهم ما هم فيه من فزع .. ماذا قال ربكم فى أمر المشفوع فيه .. قالوا ﴿ الحق وهو العلى الكبير ﴾ .. أى أن الحكم الإلهى لا يكون إلا للحق .. لا تضيف الشفاعة ولا تغير من حكم الله شيئا .. إنه الحق وحده الفيصل .. وهذا يوم الحق .. وقد حكم الله بالحق .. وانتهى الأمر .

إنه الموت إذن .. وصاحب الجلالة الموت له ملكه ودولته وقانونه .

وما وراء الموت لا يعلمه إلا الله وهذا كلامه .

وبعد الموت .. ليس للإنسان إلا ما سعى .

هذا ما سوف يبقى لكل منا .. عمله وسعيه .. وعلى هذا سوف يُجزى .. ليس للإنسان إلا ما سعى .

﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى .. ﴾ [٣٦ : القيامة] .

﴿ أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه ﴾ [٣ : القيامة] .

﴿ بلى قادرين على أن نسوى بنانه ﴾ [٤ : القيامة] .

إنه البعث إذن .. وسيعود « البنان » بنفس البصمة التى كانت له فى الدنيا وسيعود الإنسان إلى نفس صورته .

﴿ ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق ﴾ .

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ [٣٨ : الدخان] .

﴿ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ [٣ : الأحقاف] .

فالحياة مخلوقة لأجل ثم يأتى الموت والبعث والحساب لإحقاق الحق .. لأن كل شىء مخلوق بالحق .

وما كان ربنا يلعب حينما خلق الدنيا وما عليها .. تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا .

الحساب إذن حقيقة لا شك فيها .. وهو الجزء المكمل للصورة .. وهو الحق المكمل لحقوقية الخلق كله .. وذلك هو المغزى والمعنى الباطن فى رواية الخلق كلها .. فما كان الخلق عبثا وما كان مصادفة .. وإنما كان ابتلاء وامتحانا وانتقاء لحكمة يعلمها الله .. وسوف نعلمها نحن فى أوانها .

وهذا كلام القرآن عن الموت وما بعده ..

ولا نملك أن نضيف حرفا فالأمر غيب .. ولا يعلم الغيب إلا صاحب الغيب .

ويبقى أن نؤمن أو لا نؤمن .

وأنى أصدق كل حرف جاء به القرآن .

وأرجو أن أكون من الناجين.

وأدعو للكل بالهداية .. ولمدمنى العولمة أقول :

لم تظهر بعد لقاحات لعلاج هذا الإدمان الخبيث .

وما زال الإيمان بالله هو العاصم الوحيد .

ولن تجدوا هذا العلاج على الانترنت .

فهو روشتة قديمة من أيام نوح .



الفصل السابع

عمدة آخر الزمان

في أول تصريح له قال عمدة لندن بعد انتخابه بأنه سوف ينشيء مكاتب لزواج الشواذ .. الرجال بالرجال والنساء بالنساء .. وقال إن من حق هؤلاء الشواذ أن نحترم اختيارهم كمواطنين وأن نرفع عنهم الظلم الاجتماعي الذي يعانونه .

والسيد كين لفنجستون الذي يأتي عمدة لأول مرة في لندن بفضل أصوات الشواذ لا شك يسارع برد الجميل لأصحاب هذه الأصوات .. والشواذ تحولوا الآن إلى عصابة لها ضغط ولها صوت انتخابي .. ولا أرى أثرا لهذا الظلم الذي يتحدث عنه السيد العمدة بخصوص الشواذ .. وإذا كان هناك ظلم فهو ظلمهم لأنفسهم بثورتهم على خالقهم الذي خلقهم وإعلانهم التمرد على قوانينه ومباشرتهم لشهواتهم بهذه الطريقة التي لا تعطي ثمرة ولا تنجب نسلا .. فأي اختيار هذا الذي اختاروه .. وهل كانت ثورتهم إلا على طبيعتهم ذاتها .. وهلى كانت حريتهم إلا إهدارا للحرية وإهدارا للحياة في لذة عقيم بلا ثمرة .

ولم أر أحدا في لندن يقف في وجه هذه الحرية .. فالشواذ متروكون أحرارا يفعلون ما يريدون .. لهم مجتمعهم الحر الذي يفعلون فيه ما يشاؤون .. ولهم محافلهم ونواديهم ومجلاتهم ومواقعهم على الانترنت ولهم سهراتهم التي يمارسون فيها

جنونهم دون أن يتدخل أحد ودون أن يشكو أحد بأمر الحكومة ومراعاة لحقوق الإنسان وحقوق الشواذ التى وضعوها فوق الكل.. فماذا يريد الشواذ أكثر من هذا .

وهم ينتحرون .. ويحكمون على أنفسهم بالعقم باختيارهم هذا الزواج الشاذ رجالا برجال ونساء بنساء .. وإذا اختار المجتمع الانجليزى أن يمشى وراءهم فسوف يمشى إلى حتفه .

فعلى أى أساس أبدى السيد العمدة احترامه الشديد لحرية هؤلاء الشواذ وعلى أى أساس يذوب عطفا عليهم .

وهل يستطيع السيد العمدة تأمين هذا الزواج الشاذ بأن يزرع لكل رجل رحما ومبيضا ليجعل لهذا الزواج ثمرة ويضمن للجنس البريطانى الاستمرار وعدم الفناء من خلال إشباع هذه الرغبة الشاذة .

إن قضية الشذوذ ليست قضية أخلاقية وإنما هى قضية وجود أو فناء .

والمجتمع الذى يختار الشذوذ الجنسى سلوكا يختار الإنقراض فى نفس الوقت نهاية .. فنحن لا نملك وسيلة للتكاثر سوى التزاوج ذكورا وإناثا .. ولا نملك وسائل أخرى سوى التبنى وأطفال الأنابيب .

وحتى أطفال الأنابيب سوف يحتاجون إلى بويضات أنثوية .

إن الحرية التى يباركها السيد العمدة هى حرية القضاء على الحرية .. وهذه اللذة التى يباركها ويدافع عنها لذة عقيم .. وهى نزوة لا تليق بمقام الإنسان الذى استخلفه الله على الأرض .. وأعطاه مفاتيح السيادة على خيراتها .

وهى امتحان وابتلاء ارادة الله لهذا الإنسان .

هل يكون إنسانا .. أو ينزل إلى درك الحيوان ..؟!!

والحيوان الذكر لا يفعلها مع الذكران من جنسه .

فكيف بالإنسان يرتضى لنفسه أن ينزل عن درك الحيوان ويفعلها .

إن الله لم يترك قوم لوط فى الماضى وأبادهم عن آخرهم .

والسيف الإلهى معلق الآن على رقاب لوطية هذا الزمان .

والسيد العمدة متعاطف معهم ولا أرى لهذا العطف معنى .

وأعجب معى لأمر هذا العمدة العجيب الذى لم تحركه قضية فى لندن وبطول وعرض إنجلترا إلا قضية الشواذ الذين لا يلقون القدر الكافى من الاحترام .. فأراد أن يفتتح « عُموديته » بإنصافهم .

هل انتهت المشاكل الإنسانية من العالم فلم يبق منها إلا ضمان تعاطى اللذة الشاذة لهؤلاء الشواذ وضمان الاستمتاع بها فى أجواء من الاحترام الواجب ويا حبذا لو توفر للخلوة الرومانتيكية بعض الموسيقى الكلاسيكية وبعض الشعر ليكتمل الاحترام للمشهد الرفيع .

ويا ترى .. هل غاب عن وعى هذا العمدة المفتون فداحة المظالم التى أغرق فيها العدوان البريطانى القارة الأفريقية والهند فراح ينهب ثروات هذه المستعمرات وما زال ينهبها إلى الآن .. أو تراه لم يسمع عن أنهار الدم التى ما زالت تجرى حول مناجم الماس فى الكونغو وطوفان الجثث التى ألقت بها شواطئ رواندا وبروندى بالالوف .

هل غابت كل هذه المظالم ولم تبق إلا مظلمة الشواذ الذى يشكون من عدم احترام المجتمع لمباذلهم .

وماذا كانوا يتوقعون من المجتمع .. ؟؟ أن يوزع عليهم نياشين العفة ويقدم لكل واحد منهم جائزة نوبل .

أين غاب الحياء .. !!

وأين غابت حمرة الخجل .. !!

وماذا جرى للدبلوماسية البريطانية العريقة وكيف هان أمرها حتى لم يبق لها إلا خطب ود الشواذ والتباكى على ما هم فيه من ظلم وفقدان للاحترام .. للدرجة التى أصبحت أولى أولويات عمدة لندن فى عهده الجديد .. أن يقدم لهم رد اعتبار .

وهل من أجل هذه الطائفة من عبيد الشهوات ترتفع الأصوات التى تصرخ وتتباكى على حقوق الإنسان .. أقصد حقوق الحيوان .. بين الصفوة التى تدعى قيادة التنوير والتى تصف نفسها بالتقدمية ؟!!! والتى تهاجم أبواقها ليلا ونهارا دين الإسلام على أنه الوجه الآخر للتخلف والإرهاب والهمجية .

وكيف تكون لهم بعد ذلك أى مصداقية فى أى قضية ؟!!

وماذا بعد أن يرخص الكلام .. وترخص القيم ؟!! عند الذين نأخذ منهم العلم .. ونتلقى عنهم دعاوى الاستنارة ؟!! .. ومزاعم التقدم .

أى تقدم ؟.. هذا الذى سوف يأخذوننا إليه .. سؤال ؟!! أرجو الإجابة عليه من السيد المحترم عمدة لندن الجديد .. وحبيب الشواذ .

ونخرج من حكاية العمدة العجيب ومن انجلترا وعجائبها إلى

العالم الواسع وإلى فوهات الجحيم التى تنصب من الشمس على المصطافين فى ثغور أوروبا وأفريقيا .. الحرارة التى بلغت ٨٠ درجة فى الكويت وخمسين درجة فى الظل فى إيران وأربعة وأربعين درجة فى اليونان وبلدان الجنوب الأوروبى ..

ويقول علماء الفلك أن سبب هذا الصيف المشتعل أن الشمس دخلت فى ذروة نشاطها والانفجارات الشمسية تتوالى على سطحها كما يزداد عدد البقع الشمسية .. ومع كل إنفجار ينطلق ذراع من النار الذرية لعدة ملايين من الأميال فى الفضاء تصاحبه دوامات من الاضطرابات والانفجارات المغناطيسية التى توقف عمل المولدات الكهربائية فى دول عديدة على الأرض وتغرق مساحات واسحة فى ظلام دامس .. وتتضاعف حرارة الأتون الشمسى سنة بعد سنة .

وما يجرى علينا هى سنن كونية أمرها عند العليم القدير الذى يدير شئون الكون كله ولا حظ لنا فيها إلا النظر والتأمل والاعتبار .

ويقول أهل الفلك أنه يحدث فى آخر الزمان .. أن تنفجر الشمس انفجارا هائلا ثم تضمر وتصبح جرما كرويا صغيرا مظلما .. ﴿ إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت ﴾ [سورة التكوير] .

وسوف تنشق السماء وتنفطر وتتناثر الكواكب وتتباعد .

﴿ وإذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت ﴾ [١ - ٤ : الإنفطار] .

لقد انفكت قبضة الجاذبية عن الأرض فتفجرت البحار وألقت القبور بما فيها .

وذلك هو الختام .. ويوم الدين .

إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا .

هكذا ينظر كل منا إلى هذا اليوم .. على أنه بعيد .. وأنه مازال أمامنا الزمن كله والدنيا بطولها .. أين نحن من ذلك اليوم ؟!

ولكن الزمن وهم .. خيال .. أين الشهر الذى مضى .. وأين أيام الطفولة وأين أيام الصبى وأيام الشباب وأين ستون سنة مضت .. أين أيامها ولياليها وسهراتها وأشجانها وأحلامها .. لا شىء .. الزمن سراب .. أشبه بالوهم .. أشبه بأنامل ساحرة تمشى بها على الجسم فيهرم وتتحسس الشعر فيشيب .. لا ليس وهما .. بل هو حقيقة تملكنا ولا نملكها .. بل تملك كل شىء فالأرض أيضا تهرم والإمبراطوريات تشيخ .. والكواكب تهرم .. والشموس تنطفىء وتموت .

أينشتين يقول أن الزمن بُعد مثل الطول والعرض ولكنه غير مرئى .

إنه فينا إذن مثل الطول والعرض ويجرى علينا حكمه ولكننا لا نراه .

والحكيم من أدرك وجوده وحسب له ألف حساب .

وبورك الذين يحسبون حساب هذا اليوم ويستعدون لقدومه .

وأرجو أن تكونوا منهم .

وأرجو أن أكون معكم من أهل هذا الفهم والإدراك ومن الذين يسمعون فى دقات قلوبهم خطى الزمن وهرولة العمر وهو يجرى لاهثا إلى النهاية هامسا .. هلا فعلت خيرا تضيفه إلى رصيدك قبل أن يُغلق ملف الأعمال والأقوال ولا يبقى شىء يذكر إلا ذنوبك

وعيوبك .. هلا سارعت إلى نجدة محتاج أو إسعاف مريض أو مواساة مكلوم أو أداء واجب .

هلا صحوت من غفلتك وعالجت تقصيرك وأصلحت إيمانك وصححت موقفك وأقبلت على واجباتك .

مازال هناك وقت .

لم تأت حسرة الفوت بعد .

ما زالت القدم تسعى واليد تعمل واللسان ينطق والعقل يفكر .

ما زلنا فى الدنيا وقد أعطانا ربنا فسحة زمان .

ما أجمل أن نُعطى فرصة أخرى فلا نضيعها .

إنهض إلى العمل يا أخى .. ما زال فى العمر بقية .



على خط النار

على خط النار
على خط النار
على خط النار

الفصل الثامن

وأشهدهم على أنفسهم

مشكلة المسلمين أنهم لم يبلغوا القدوة التي يؤهلهم لها دينهم العظيم ولم يستطيعوا أن يقدموه للعالم فى كماله وبساطته وإعجازه وأنهم اختلفوا إلا القليل ممن عصمهم الله .. وتفرقوا شيعا ومذاهب وانقسموا إلى سنة وشيعة ودروز وأباضية وزيود وإسماعيلية واثناعشرية وبهرة وإلى ملل ونحل بلا عدد .. فرأينا فيهم الصوفية الزهاد لابسى الخرقة والمنعمين المترفين لابسى الديباج ورأينا المحجبات والمنقبات والملثمات .. وخرج منهم من يقول بأن المرأة لا يجوز لها أن تبرح بيتها ولا أن تخرج لتعمل أو لتتعلم وأن هذه هى السنة الصحيحة .. مع أن السيرة تؤكد أن المرأة خرجت فى الغزوات واشتغلت بالتمريض .. وأنها كانت شاعرة .. وكانت فقيهة .. وأن النبى عليه الصلاة والسلام استمع إلى شعر الخنساء وأثنى عليها وقال لها .. هيه يا خناس .. أى زيدينا .

واختلف المسلمون فى قضية الشفاعة فقال البعض أن للنبى أن يخرج من النار من يشاء بشفاعته .. مع أن آيات القرآن قطعية الدلالة .. وتقول الآيات عن يوم القيامة .

﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾ (أى لا تملك أى نفس لأى نفس شيئا بإطلاق ودون استثناء) ..

ويقـول ربنا لنبيـه فى القرآن .. ﴿ قل لله الشـفـاعـة جمـيعـا ﴾ .. والمعنى أن جمـعية الشفـاعة لله وحده ولا شفـاعة إلا بإذنه .. ولا أحد يعلم مسبقـا أيأذن الله لهذا المذنب أم لا يأذن فالأمر لله وحده ﴿ إليه يُرجع الأمر كله ﴾ لا محـسوبيات ولا وساطات وإنما الأمر لله من قبل ومن بعد .. وهذا نص القرآن .

ورغم قطعية الآيات وإطلاقها اختلفوا وتعـاركوا وتفرقوا شيعا مع أن قرآنهم واحد .

وفى حد الزنا قـال القرآن بالجلد وقال بعـضهم بالرجم مع أن القرآن لا توجـد به آية رجم واحدة .. وأكـثر من ذلك قـال القرآن بشأن الجوارى اللائى يزنين ﴿ فإن أتين بفـاحشة فعليهن نصف ما على المحـصنات من العذاب ﴾ (النسـاء : ٢٥) ومعنى ذلك أن القتل رجـما غير وارد إذ لا يوجـد نصف موت ولا نصف رجم .. والمعنى الوحـيـد الممكن هو الجلد فـهـو الذى يمـكن أن يكون له نصف.. وحينما ووجه الفقهاء بهذا « المطب » اختلقوا آية قرآنية لم تنزل فى كتـاب تقول أن « الشيخ والشيـخة إذا زنيا فارجـموهما البتـة » وأن هذه الآية رُفعت وبـقى حكمهـا .. وهو كلام مخـتلق فالقرآن كله لم يأت فيه كلمة ثقـيلة مثل « البتة » وليس فى الكلمة من روح القرآن شىء .. والاخـتلاق واضح والآية التى اخـتلقوها لا تتمـاشى مع سلاسة القرآن وجـمال نظمه .. ولكنه داء التـفرق والتشرذم والاختلاف وإثارة الفتن وزرع الفرقة بكل وسيلة .

وبذلك انفـرطت الأمـة وتحـول « الحـديد » إلـى برادة والبناء العظيم إلى أطلال والدولة القـوية الواحدة الشـامخـة إلى دويلات وكان ما نرى الآن من تركيا العلمانية التى تذيع فضائياتها العملية

الجنسية بالصوت والصورة .. والمملكة العـربية السعودية السلفية السنية الملتزمة بحدود الله وشرعه .. ومصر الوسطية فى خياراتها ومواقفـها .. وماليزيا المنفـتحة على تيارات العـولمة ونظام السوق إلى آخـر المدى .. وباكسـتان النووية التى تـناطح الهند بتطرفهـا المناهض للإسـلام طول الوقت وإيران التى تمثـل إسـلام القـوة والصمود والتـحدى بين جميع الفرقـاء .. والسودان التى تتأرجح بين سلفية الترابى وانفـتاحية البشير وتبـحث لها عن موضع قدم مأمون فى أرض الزلازل .. وأندونيسيا المذبوحة من حكامها ومن التآمر الغربى عليها .

وفى هذه الرقـعة الشـطرنجيـة الواسـعة التى اخـتلفت فـيهـا المواقف واختلفت الظروف السـياسية بين دولة إسلامـية وأخرى واخـتلفت القوى الـفاعلة بين « مع » وبيـن « ضد » اسـتحـال أن يكون هناك نمط واحد أو صيغـة واحدة للإسلام فى ظروف عالمية تتحالف فيـه القوى الكبرى لتجارب الإسلام بكل الـوسائل المتاحة بدعوى أن الإسـلام هو الإرهـاب .. وكانت الدولة النموذج للإسلام فى نظر أمـريكا هى أفغـانسـتان .. والرجل النمـوذج هو بن لادن الإرهابى المحترف .

ومن عجب أن أمريكا اتخذت من بن لادن حليفا لإخراج روسيا من أفغانستان فى البداية وقامت بتسليحه ووضعت مخابراتها فى خدمته ثم انقلبت عليه بعد أن حقق النصر وأخرج روسيا مهزومة مكسورة الجناح من كابول .. فقد اختلفت المصالح ساعتها فانقلبت أمريكا على حليفها وأصبح القبض على بن لادن والقضاء عليه هو غايتها ومطلبها .. والسياسة كالعادة لا خلاق لها .. وحليف الأمس

يصبح بين طرفة عين وانتباهتها عدو اليوم .. لأن المصلحة الأمريكية الآن اقتضت هذا التحول وهناك الآن سياسة جديدة مطلوبة فهى الآن تعاون خصمها القديم روسيا وتمدها بالمال وبالسلاح فى حربها للشعب الشيشانى المسلم .. فالشيوعية انتهت .. وتم القضاء عليها .. ولم يبق هناك عدو للعالم الجديد سوى الإسلام والكل يتكتل ليحارب الإسلام .. وهو موقف يروق كثيرا لإسرائيل .. كما يروق لأعداء الإسلام القدامى الرفاق الأوروبيين الذين أعلنوا الحرب الصليبية فى الماضى .

لقد تحول الإسلام إلى هدف مشترك لإلقاء السهام وتوجيه الاتهام ظلما وبهتانا فهو معتدى عليه من الكل ومتهم من الدول الكبرى صاحبة الشأن بأنه يحتضن الإرهاب .. كيف ؟ .. والإرهاب النووى الأعظم يملكه الأعداء وحدهم .. تملكه أمريكا وإسرائيل وفرنسا وإنجلترا وروسيا والهند .. ولا توجد دولة إسلامية واحدة تملكه سوى باكستان وهى تابعة لمعسكر العولمة الذى تقوده أمريكا .. فمن الذى يملك وسائل الإبادة .. إنهم هم .. أمريكا وروسيا والغرب .. والإسلام لا يملك إلا كلمة .. لا إله إلا الله .. وإلا القرآن .. يتحدى به الكل .

وقد ظل القرآن طوال أربعة عشر قرنا من الزمان شامخا قاهرا معجزا يتحدى العقل ويتحدى الزمن ويتحدى العداوة التى أعلنها الغرب على كل ما هو إسلامى منذ الحروب الصليبية إلى الآن .. وكأنه يقول .. أخرجوا ما عندكم .. هاتوا لنا الجديد فى علمكم .

فلما أخرجوا « الجينوم البشرى » من القمقم .. وبه معلومات مدونة بالحروف الكيمائية (٣ مليارات حرف كيمائى) ومساحة

من المعلومات تساوى خمسة ملايين صفحة فى حيز صغير متناهى فى الصغر . بضعة أجزاء من المللى .. تحتوى على مقدرات هذا المخلوق الإنسانى وأمراضه وصحته وضعفه وقوته ومواهبه وحظوظه وما سيجرى عليه فى مخطوطة شاملة لا تكاد تُرى إلا بميكروسكوب الكترونى .. هللوا ورقصوا فرحا وقالوا وقد امتلأوا ثقة وغرورا .. أوريكا .. أوريكا .

لقد وجدناها .. وجدناها .

– ماذا وجدتم .

– وجدنا الحجة التى نبحث عنها .. هذا هو العلم النهائى الذى ليس بعده علم .. وهذه هى الحجة التى سنلقمكم بها حجرا .

– نعم إنها حجة فعلا .. ولكنها ليست حجة لكم بل حجة عليكم.. فهذا الكتيب الذى عثرتهم عليه فى نواة الخلية شاملا لمقدرات الإنسان وباتساع خمسة ملايين صفحة وفى حيز معجز فى صغره ودقته .. بضعة أجزاء من المللى .. من الذى كتبه .. ومن دوَّنه .. ومن خط حروفه (ليس إلا الله من يكتب مثل هذا الكتاب).

لقد شككتم فى القرآن فى الماضى وقلتم أخذه نبيكم محمد عن راهب التقى به فى أحد الأديرة .

فمن كتب الآن هذا الكتيب .. إذن .. الله وحده هو القادر على كتابته ولا يقدر على هذا النمط المعجز من الكتابة سواه .

والقرآن يجاوبكم بآيات سورة الأعراف ليشرح ما حدث :

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم .. ألست بربكم .. قالوا بلى شهدنا . أن تقولوا يوم

القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون .. وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾ (الأعراف : ١٧٤) .

القرآن يروى قصة الإخراج من الظهور .. قصة الجنين القادم من الحيوان المنوى والبويضة (من قنوات الخصية .. وخلايا المبيض) والأصل الجنينى للخصية والمبيض هى خلايا جاءت من ظهر الجنين .

وأشهدهم على أنفسهم .. إن الله يروى فى قرآنه عملية الإشهاد .. هذا المانفستو الإلهى الذى اسمه الجينوم البشرى .. وكيف أن كل مولود جاء ومعه قصته وحكايته من الأزل مكتوبة فى خلاياه ومسطورة فى جيناته .

وماحدث كان عملية إشهاد للعالم كله على أصل الحكاية .. من كتبها ؟! ومن أودعها فى هذه الحروف الكيماوية ؟! .. التى اطلعتم عليها بهذه الصورة الجينية فيما أسميتموه بالجينوم البشرى .. وهللتم له وكبرتم وتصايحتم .

فمن أطلعكم على تلك الخفايا .. الله استدرجكم بعلومكم وأجهزتكم حتى كشف لكم المستور من أسرار صنعته .

ومن عجب أن الله يُتبع هذه الآية من سورة الأعراف بالآية ١٧٥ والآية ١٧٦ والآية ١٧٧ وفيها يقول :

﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ .

﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل

القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ .

إن الله قد علم أن علماء الغرب لن يرتدعوا بهذا الإشهاد المعجز .. وأنهم سيركبهم شيطان الغرور وسيمضون فى غيهم وكفرهم وإعجابهم بأنفسهم .. ووصفهم ربنا بأنهم أشبه بكلاب هذا الزمان .

وأن مثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . فهذا طبعه الذى يلازمه .. كما اخترتم أنتم الكفر طبعا ولازمتموه ولازمكم لا تنفكون عنه .

﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ .

وهو حُكم مسبق بُنى على علم إلهى مسبق بأن علماء هذا الزمان ماضون فى غرورهم وفى إعجابهم بأنفسهم .. ولن يرتدعوا عن غيهم ولن يفيقوا من غرورهم .. فهم الذين اكتشفوا وهم الذين علموا .. وهم الذين اخترعوا .. وهم الذين أبدعوا .. وهم الوارثون الوحيدون للحقيقة .

وهم مثال قائم لكل من يأتيه الحجة فلا يرتدع .

وأهل الإصرار من جميع الملل وفى جميع الأزمنة يقعون تحت حكم هذه الآية فالكفر بالنسبة لهم أصبح فى حكم الطبع .

والإشهاد بهذا المفهوم الجديد أوسع وأشمل وأوقع من التفسير الذى جاءت به كتب التفاسير القديمة .. فقد اشتركت الدنيا كلها فى هذه المظاهرة الشهودية وكانت موضوع الساعة .. وموضوع التفاخر والاستعلاء بالنسبة لعلماء الغرب .. واتخذوا منه حجة

على موقفهم من الدين .. مع أنه حجة عليهم وليس حجة لهم .. فهذا كتاب لا يمكن أن يكتبه مخلوق .

ولامفر ولا معدى ولا مهرب من القول بأن الذى كتب هو الذى خلق .. لأن الكتابة جاءت فى صميم الخلقة وفى الحشوة المخلوقة ذاتها .. بالحروف الكيمائية لنفس المخلوق وهو عمل معجز لا يقدر عليه إلا الخالق .

ولا يستطيع العقل أن يقول بافتراض آخر .. إلا أن يكون معاندا قد ركب رأسه .. أو يكون كافرا غلبه طبعه كما الكلب الذى غلبه طبع اللهاث فراح يلهث راغما لا يستطيع أن ينفك عن لهاثه .

وهذا قرآننا .

ما حكمتم عليه .. بل هو الذى حكم عليكم وكشف دخيلتكم .

وما جاء إلا بالحق المبين .

ولا يمتنع أن يكون الإشهاد قد حدث فى القديم فى عالم « الذر » كما تقول التفاسير القديمة وحدث على زماننا وعلى أيامنا حينما أشهدنا الله على صنعته وكشف لنا مستورها فى حكاية الجينوم البشرى .

والله يتجلى ببديع صنعته فى جميع العصور وحيثما كانت هناك عيون ترى وعقول تفكر فهو الظاهر والباطن على الدوام .

ولن يتوقف عطاء القرآن على مر الدهور مصداقا للآية :

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ (فصلت : ٥٣) والمعنى أن الإشهاد مستمر .. والعرض مستمر بطول أيام الدنيا إلى أن يأذن الله لهذه الدنيا بانتهاء .

على خط النار

على خط النار
على خط النار
على خط النار



الفصل التاسع

النارية الجديدة

إيهود باراك مضى يهدد ويتوعد لبنان .. ويقول إنه سيحرق لبنان .. ويحولها إلى جحيم .. وأرسل طائراته في غارات متتالية على الجنوب اللبناني لتسقط أطنانا من الصواريخ والقنابل ولينسف محطات الكهرباء ويحول ليل بيروت إلى شعلة من الحرائق .. ولتقتل صواريخه ومتفجراته من صادفت من أطفال وشيوخ ونساء دون تمييز .

وصلتنا رسالتك يا سيد باراك .

وصلتنا رسالة البغضاء والكراهية التى تفوهت بها .

وبلغت كلماتك المقيتة أسماعنا وأعماق قلوبنا .

وأدركنا تماما لغة السلام التى تتحدث بها ووعود الرخاء التى كنت تعدنا بها .. والخير العميم الذى ستغمرنا به إسرائيل جارتنا المتعاونة المسالمة إلى آخر كلام السيد بيريز أستاذك ومعلمك .

ولا يغرنك صمت القبور فى الوطن العربى الذى استقبلنا به هذه الصدمة .. والكلمات القليلة التى صدرت هناوهناك .. والتصريحات المقتضبة من المسئولين .. فالدهشة أمام هذا الكم من الكراهية والحقد والبغضاء من الجار الإسرائيلى لاشك قد ألجمت الألسن وصدمت الأقلام التى كان يخامرها بعض حسن الظن وبعض التصديق لدعاياتكم .

وعمـلاء التطبـيع الذين جندتموهم للدعوة إلى سـياسـاتكم لم يجدوا ما يقولونه وأصابهم البكم والخرس .

إنه ليس الخـوف .. لكن الدهشة .. والصـدمة .. والإفاقـة على حقيقة جـديدة تماما .. حقيقة وجود كريه عـدوانى اسمه إسرائيل يجاورنا ونجاوره على مضض .. وتساؤل ملح .

ماذا فعلت لبنان لتعاقب كل هذا العـقاب ؟!! ماذا فعلت لتهددها إسرائيل بالحريق .

إنها كانت تدافع عن نفسها أمام عدوان مستمر واغتصاب قائم على أرضـهـا من شراذم مـعـتـدية .. وقـتـال مـشـروع .. جندى لجندى.. إنها لم تظلم أحدا بل كانت تجاهد لتدفع عن نفسها الظلم.

وجـاء الرد قتـلا للمدنين وتدمـيرا لـلبنية التـحتـية واغـتيـالا للأبرياء.. وتهديدا بحرق لبنان كلها .

إنها النازية يا سيد باراك .. نفس النازية التى عاملكم بها هتلر.

وأنتم الآن تتكلمون بنفس اللغة .. لغة المحرقة .

وسكتت أمـريكا عليكم لأنكم الأيـدى الأمريكيـة فى المنطقـة .. تقومون نيابة عنها بالمهمة القذرة .. أنتم الأيدى القذرة للاستعمار الغربى فى بلادنا .

وتخطئــون إذا تصـورتم أن السـكوت العـربى كـان سكوت الرضـا.. أو سكوت الخـضوع والخـشـوع والاسـتسـلام للأمـر الواقع.. بل سكوت الغضب الكظيم والمرجل الذى يضطرم .

بل هناك تحـول الآن فى قلب كل عربى حكامـا ومحكومـين .. وهناك إعــادة نظر فى كل شىء .. وهنـاك كـراهيـة لـكم وبغض لأساليبكم وانكشـاف لخداعكم .. ويقين بأكاذيبكم .

ويعلم الإخوة العرب الآن أنهم مقبلون على كارثة .

ويعلمون أن اتحادهم أمام البلاء القادم أمر لا مفر منه .

وسوف تتغير أشياء كثيرة فى المستقبل يا سيد باراك .. بسبب هذه الحماقة الرعناء .. فأنتم نازية جديدة ولكن بدون هتلر .

والفرق كبير .

الفرق كبير بين جنود الصاعقة الألمان وجنود الصاعقة اليهود .

وهو فـرق بين شجـاعة وجبن .. وبين صـمود وفـرار .. وبين ثبـات وانهيـار .. وبين إيمان وكـفر .. وسـوف تختلف النتـائـج كثيرا.

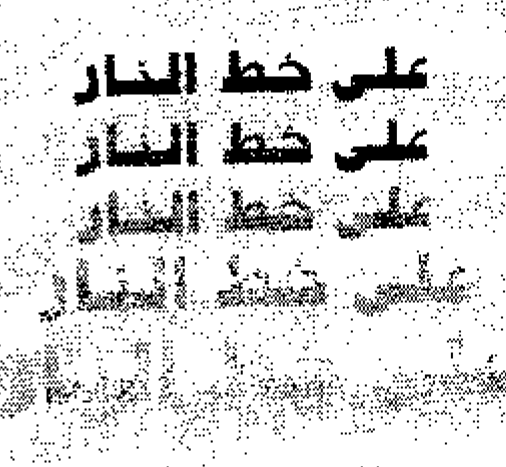
وسوف نرى يا سيد باراك .

وموعدنا التاريخ كله .

إنها مأساتكم قد بدأت .

وسوف تتتابع فصولا .

وليست حكاية حدثت فى الجنوب اللبنانى .





الفصل العاشر

كلمة هادئة

في صحيح البخارى وصحيح مسلم فى باب التوحيد عن أبى سعيد الخدرى نقرأ هذا الحديث العجيب عن يوم القيامة .. يقول الجبار قبل إقفال باب الحساب .. بقيت شفاعتى .. ويقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا (أى تفحموا) فيضعهم فى نهر فى الجنة اسمه الريان فتنمو أجسادهم كما تنمو الحبة فى حميل السيل ويوضع فى رقابهم الخواتيم .. ويقال .. هؤلاء عتقاء الرحمن . دخلوا الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه .

وهو كلام يخالف صريح القرآن بل يناقض القرآن فى ٣٥ موقعا يؤكد فيها القرآن أنه لا دخول للجنة إلا بعمل صالح .

﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾
(الأعراف : ١٣)

﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾
(الأحقاف : ١٤)

﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ (النحل : ٣٢)

ويتكرر نفس المعنى ٣٥ مرة .. فى العنكبوت الآية ٥٨ ولقمان الآية ٨ والسجدة الآية ١٩ والزمر الآية ٧٤ وغافر الآية ٤٠ والشورى الآية ٢٢ والزخرف الآية ٧٢ والبقرة الآيتان ٢٥ ، ٨٢

وآل عمران الآية ١٩٥ والنساء الآية ٥٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ويونس الآية ٩ وهود الآية ٢٣ وإبراهيم الآية ٢٣ والكهف الآية ١٠٧ ومريم الآية ٦٠ والحج الآيات ١٤ ، ٢٣ ، ٥٦ والتغابن الآية ٩ والطلاق الآية ١١ والبروج الآية ١١ .

ورغم هذا التكرار القرآنى الذى يؤكد المعنى بلا لبس وبلا إبهام وبلا استثناء يفاجئنا رواة الأحاديث بهذا الحديث العجيب عن هؤلاء الأقوام الذين يخرجهم ربنا من النار وقد تفحموا ويدخلهم الجنة بلا عمل عملوه وبلا خير قدموه .

فإذا رفضنا هذا الحديث اتهمونا بإنكار السنة وإنكار الشفاعة وقال عنى الشيخ القرضاوى إنى رجل رجل مكابر .. سامح الله الشيخ القرضاوى .. فأنا على كثرة عيوبى قد عافانى ربى من داء الكبر.. ولا أزكى نفسى فهذه منة امتن بها ربى علىّ .

وأخون أمانة القرآن فى عنقى إن لم أنكر هذا الحديث الذى تقولوا به زورا وبهتانا على سيدنا رسول الله .. وحاشا لرسول الله الذى جاءنا بالقرآن أن يقول هذا الكلام الذى ينقض به القرآن فى معنى أكده القرآن ٣٥ مرة فى ٣٥ موقعا .. أن الجنة جزاء على خير العمل .. حتى ليكاد يكون هو قانون القرآن الأول ودستوره الثابت وروح العدالة المبثوثة فى ثناياه .

ولا غرابة فهواة الدس والتحريف حينما عجزوا عن المساس بآيات القرآن ولم يجدوا وسيلة إلى تحريفها .. فقد حفظ الله قرآنه بجمعية أسمائه كلها وقال عز من قائل : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .. فاستداروا إلى الأحاديث يحرفونها ويختلقونها اختلاقا .. وقد اعترف رواة الأحاديث أنفسهم بأن

فيها الضعيف والموضوع والمدسوس والمحرف .. وللإسلام أعداء من كل الملل والنحل بطول التاريخ يتآمرون عليه .. وإلى الآن وحتى يومنا هذا .. الإسلام متهم من كل العالم والحرب معلنة عليه من دول الغرب كله بتهمة ظالمة أنه يؤوى الإرهاب ويحض على الإرهاب ويدعو إلى الإرهاب .. فهل هذا صحيح ؟!!

ومن بحق الله هم الإرهابيون ؟ الشيشان الذين يدافعون عن أنفسهم فى الكهوف والخنادق أم الروس الذى يمطرونهم بالصواريخ والقنابل والمتفجرات من الأرض والسماء .

ثم إن الحديث موضوع كلامنا .. هو نفسه متناقض .. فإذا كان هؤلاء عتقاء الرحمن بالفعل فلمَ يتركهم فى النار حتى يتفحموا .. ولمَ يدخلهم النار أصلا ؟ .. علما بأنه فى الآخرة لا يتفحم أهل النار فى النار .. وإنما يتحادثون ويتلاعنون .. كلما دخلت أمة لعنت أختها .. فالأجسام بعد البعث لا تكون ترابية قابلة للتلف والتفحم والتلاشى دخانا فى الهواء .. وإنما تكون من طبيعة مختلفة تتحمل النار والاحتراق وتصمد لما يجرى عليها بطول الأبد فى نار وقودها الناس والحجارة .

إن القيامة التى أقاموها علينا باسم إنكار السنة وإنكار الشفاعة قيامة ظالمة نحن أبرياء منها فما أنكرنا إلا المنكر من الأحاديث .. وكل ما قلته فى كتابى « الشفاعة » كان محاولة لفهم الشفاعة لا أكثر ولم يكن هناك ما يدعو لكل هذه المشانق التى نصبوها والمحارق التى أشعلوها فما أردنا إلا تنقية السنة من تحريفها .

إنما كنا نحاول أن نفهم وأن نعقل كلام الله وكتابه المعجز .

ونحن نعظم كتاب الله ونعظم رسوله أكثر مما يعظمونه .

وماذا يعنى كلامهم .. ماذا يعنى أن تدخل الجنة أقوام بغير عمل عملوه أو خير قدموه ؟!! إلا فوضى المحسوبية التى صنعوها فى الدنيا وصورت لهم أهواؤهم أن تتكرر فى الآخرة لصالحهم .

ألا تعنى هذه الكلمات غواية وإغراء لكل نفس ضعيفة بألا تعمل وبألا تجتهد .. ألا تعنى دعوة صريحة إلى اللامبالاة والإغراق فى اللهو والعبث والفساد والإفساد .. ففى الآخرة مصيرهم أن يكونوا عتقاء يمرحون فى الجنة بلا عمل عملوه وبلا خير قدموه.. وهل يكون هذا كلام عدو أو صديق لدينا وكيف يصدر مثل هذا الكلام عن سيدنا رسول الله .. حاشا لله أن يقوله .

إنى عاتب على الذين أثاروا علينا هذه الحملة الشعواء وأنا خصيمهم يوم القيامة .. يقضى بيننا الله بما يراه .. هو وحده العليم بالسر وأخفى وليس بعد عدالته عداله وليس بعد حقه حق .

وحينما يكون روح الدين وجوهره هو موضوع الخلاف .. فما أهون المشقة وما أهون التضحيات فى سبيل أن نفهم ونتعلم حتى من خصمائنا .

ونحن أمة آفتها التواكل والكسل الذهنى .

وفتور الهمة يصيبنا فى الصميم بل هو سبب تخلفنا كله .

وأفكر دائما فى الأمر الإلهى للنبى عليه الصلاة والسلام فى ختام سورة العلق .

﴿ كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ .

وأفكر دائما .. كيف أسجد وكيف أقترب .

إن الإسلام كله فى هاتين الكلمتين .. اسجد واقترب .

وكلام القرآن يقال فيه نفس الشىء ولنفهمه لابد أن نسجد ونقترب .

أما كثرة النقاش والجدل والملاحاة فلن توصل إلى شىء .

وإنما الخشوع وسجود القلب هما الوسيلة .. والتقوى هى الباب .. ولهذا آثرت الصمت فى هذه الفتنة الهوجاء .. وعاودت التفكر والتأمل فى هدوء .. ولم أحاول الرد إلى أن هدأت العواصف .

وقد اختلف العارفون فى معنى الشفاعة فقال العارف بالله محمد أمين شيخو : هى أن تكون مع الرسول عليه الصلاة والسلام.. هو دليلك وسراجك المنير والهادى وهو الذى يشفع وجودك ويدخل بك إلى الحضرة الإلهية فتبلغ الكمالات وتنال العفو والرضى والجنة فمحمد عليه الصلاة والسلام هو الوسيلة .

والفقهاء الملتزمون شرطوها بالإذن الإلهى والتزموا بالنص القرآنى :

﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ (يونس : ٣)

﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ (الأنبياء : ٢٨)

﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ (سبأ : ٢٣)

﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ﴾ (طه : ١٠٩)

﴿ وكم من ملك فى السماوات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ (النجم : ٢٦)

﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ (غافر : ١٨) .

﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ (الزمر : ٤٤)

وأكثر آيات القرآن تنفى الشفاعة بمعنى الوساطات التى نعرفها فى الدنيا وتسندها لله وحده .. العليم بالسر وأخفى .. العفو عفوه

والإذن إذنه .. هو الباب وإليه المآب .. وعنده حسن المآب .

واختر ما ترتاح إليه من هذه المفاهيم .

وفي جميع الحالات شفيعك عملك .. ولكن الله من قبل ذلك .

والله من بعد ذلك .. فهو الذي خلقك .. وهو الذي سيمكنك من عملك النافع والخيِّر أو لا يمكنك .. وهو الذي سيعفو عن سيئاتك أو لا يعفو عنها .. وهو الذي سيمكنك من التوبة أو لا يمكنك .. وهو قابل التوب وغافر الذنب .. وليس من الله بد .. وليس قبله ولا بعده شيء .

والمعنى أن الله في الأولى والله في الآخرة .. والله من قبل ذلك .. في التعارف الأول في الأزل قبل النزول إلى عالم الدنيا .. يوم أشهدهم على أنفسهم .

كما جاء في سورة الأعراف .

﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾ (الأعراف : ١٧١ ـ ١٧٤) .

لا مهرب من الله .. فهو الأول والآخر والظاهر والباطن .. وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء .

﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ (البقرة : ١١٥)

وأصدق الصادقين من قال :

﴿ لله الشفاعة جميعا ﴾ .

فقد أحاطت هذه العبارة بالأولى وبالآخرة .. وما قبل ذلك وما

بعده إن كان هناك قبل أو بعد .

والله هو الذي خلق محمدا عليه الصلاة والسلام .. وهو الذي أرسله وهو الذي جعله نذيرا وبشيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا ومنيرا . وهو صاحب المقام المحمود الذي تحمده كل الخلائق .

وأنت مع الله تكون مع جامع الخيرات كلها .. ومع أرحم الراحمين الذي لا يساويه أحد في رحمته ولا في قدرته .

وهذا مفهومي إن شئت أخذته وإن شئت اخترت البديل الذي ترتاح له نفسك وقلبك .. دون خصومه ودون لدد .. فدنيا الله كلها حب .. ولا خصومة فيها ولا خلاف .. وإنما الحق والحق وحده .

على خط النار
على خط النار
على خط النار
على خط النار



الفصل الحادى عشر

الفهلوة

من الآمال ما هى نقش على الماء وتشييد للقصور على الرمال .

ومن التمنى ما هو تعبئة للبحار فى غربال وركوب الأهوال فى الخيال .

ومن هذا القبيل تصور الرجل الشرقي وهو قابع فى بيته وبدون جهد يذكر أنه يستطيع أن يبلغ ما بلغه قرينه الغربى الخواجه من تقدم وتفوق وعبقرية بمجرد الفهولة والحداقة ودون أن يكدح كدحه فى الدرس والتحصيل ودون أن يعكف عكوفه المضنى فى مختبرات البحث والتجريب .

إن هى إلا شد نفس عميق من الشيشة وشطحة فى الخيال ويصل إليها فى خطفة واحدة وهى طايرة .. هكذا .. وهى طايرة .. هى إيه .. ؟! .. هو نفسه لا يدرى .

وهو أمى لا يعرف حتى القراءة والكتابة .. ولا يدرى أن هناك لغة جديدة ظهرت فى الدنيا بعد الأبجدية العربية والأجرومية الإنجليزية اسمها لغة الكومبيوتر والانترنت .. وإنه يجهلها كما يجهل الأبجدية العربية والإنجليزية واللاتينية .. ولا يعرف إلا لغة العوام التى يتخاطب بها ويسمعها فى الأغانى .

الفهلوة .. !! إنها نظرية كل شيء .. عند صاحبنا .

إنه يستطيع أن يفوز بجائزة نوبل بالفهلوة .. ويستطيع أن يكسب مليون جنيه بالفهلوة .

وكل المطلوب أن يجذب نفسا من الشيشة ويشطح بخياله فتنزل عليه الفكرة وهى طايرة .. والدنيا حظوظ .. أرزاق يا عمى.. لوتاريه .

وتايسون كسب مليون دولار بضربة « هوك » شمال .. هوك جابت القاضية اللى هيه .

وأينشتين كانت أمه داعياله .

نظرية متكاملة يفسر بها كل شيء .. اسمها الفهلوة .. والحظ.. والبخت والنصيب .

أمية دينية .. وأمية اجتماعية .. وأمية أبجدية .. وفتاوى جاهزة فى كل شيء .. وحل جاهز لجميع المشاكل .. هو الفهلوة .. ونفس الشيشة الذى لا يخيب .

والفكرة التى تنزل عليه وهى طايرة .

وتنتهى الفكرة فى الغالب إلى عملية نصب وحصول على المال بالتحايل وشق الجيوب .. والدنيا لوتارية .. وأرزاق يا عمى .

تخلُّف مُركب ومحصول ثقافى من الأغانى الشبابية والأفلام المصرية وشكوكو وفريد شوقى والمليجى .. هذه الشخصية تراها فى روايات نجيب محفوظ وفى حوارى الموسكى .. وهى شخصية

مصرية لحما ودما وهى تجسيد لتخلف حقيقى يجمع كل السلبيات الحقيقية للشخصية الشرقية .

ولكنها ليست كل الصورة فشخصية مثل أم كلثوم .. تعطينا صورة أخرى إيجابية لكفاح متصاعد وكدح نحو المزيد من التعلم والإتقان وذروة من الكمال النادر لفنانة لا تقل عن الكبار من فنانى الغرب النابهين .. ونجاح بأسبابه وليس بالفهلوة .. هذه امرأة أصابها التوفيق ولكنها صنعت نجاحها بعرق جبينها .. وهى مثال يقتدى .

والصورة الأخرى السلبية المتخلفة .. صورة صاحبنا الفهلوى.. يجب أن نتحرر منها ونخرج من إسارها .. فالدنيا ليست لوتارية .. والفهلوة لن تكسب لنا مكانا فى هذا العالم .. ونتيجتها التأخر إلى آخر الصف والانتهاء إلى الحضيض .

دنيانا التى نعيشها لن يكسبها إلا كادح مجد مجتهد يدرس ويكد إلى آخر يوم فى حياته ويذاكر ويتعلم إلى آخر نفس من عمره .

وما دام قد قضى علينا بأن نناطح إسرائيل وتناطحنا إسرائيل.. وإسرائيل يؤيدها الغرب وتؤيدها أمريكا .. فقد أصبح الطريق واحدا ولا خيار .. أن نضاعف الجهد ونكثف العمل على جميع المستويات .. على مستوى العلم والثقافة والدفاع والفنون العسكرية وفنون التخابر والاستشعار عن بعد وفنون التفاوض والمداولة .. وأساليب المكر والتحاليل والختل والخداع والحربائية .

وكل هذا لن يكفى ..

وإنما طاعة الله الذى أنزل علينا قصة هؤلاء اليهود فى قرآنه والذى وعدنا بالنصر فى صحيح آياته .. طاعة الله هى ناصرنا الوحيد لأنه صاحب العلم الكلى والقدرة الكلية والقوة الكلية .

العلم بما وراء النيات .. والعلم بما وراء المواثيق والتعهدات .. والعلم بخفايا الصواريخ والطائرات .. والعلم بأين ومتى وكيف .

وما أحوجنا لهذا الرب الكريم فى كل آن .

ولقد فاز من تحصن به وتسلح بآياته وقاتل له وعاش ومات فى طاعته .

وهذا هو المختصر المفيد فى قصة صراعنا مع إسرائيل .. وصراعنا مع الدنيا كلها.

وهو دليلنا الوحيد للفوز والنجاة دنيا وآخرة .



الفصل الثانى عشر

روشتة لعلاج الفساد

حكاية النهب والعمولات والإتاوات والسرقات أصبحت أعمدة أولى في الصحف .. ونواب القروض الذين لهفوا الملايين من البنوك بدون ضمانات .. وبالوعة الفساد التي تتسع وتتسع أصبحت موضوع الساعة .

وكيف ؟ .. ولماذا .. وإلى متى .. وما الحل ؟ .. ؟!!

والموضوع قديم قدم التاريخ .

وفي الدول الأفريقية تقوم الانقلابات العسكرية على مدار العام ويكون أول بيان عسكري .. إنها جاءت لإعلان الحرب على الفساد .. وتبدأ بأقصى درجات العقاب من الإعدام إلى السجن المؤبد إلى التعذيب والتشهير وتنتهي في العادة بانقلاب آخر وفساد جديد بأسماء جديدة .

وسبب الفشل أن الانقلاب العسكري هو الفساد المطلق بعينه .. فالقوة الباطشة التي سرقت الحكم اغتصابا وبدون تفويض من الشعب لا تستطيع أن تدعي القدرة على تقويم صغار اللصوص وهي ذاتها مثال لأكبر لصوصية .

والقضية من أولها قضية أخلاق ونفوس انطفأ فيها بصيص

الإيمان وخبا صوت الضمير فانطلقت تسرق وتنهب بدون رادع .

وآفة هذا الزمان هى غياب الأخلاق وغياب الدين وتراجع الدور الرقابى للأسرة وعدم وجـود القدوة فى البيت وفى المدرسة وفى الجـامعـة وطغيـان المادة وغلبـة الطمع والجشع وأخـلاق الخطف وعـبادة الأغنى والأقـوى والأكثـر نفـوذا ولو كان لصـا معـدوم الضمير وعبـادة المظاهر ونفاق السلطة والمشى فى مواكب الحكام وعولمة الهلس والتفاهة وإثارة الشـهوات فى كل وسائل الإعلام .. كل هذه البدايات هى التى قادت إلى الفساد الذى نشكو منه .

والفساد فى القطاع المصرفى كـمثال حوَّل البنوك إلى بالوعات يتسرب منهـا المال العام فى قروض سهلة بلا ضـمانات وضاعف من تكلفـة المشروعات الـقوميـة إلى ملايين ومليـارات تذهب إلى جيـوب السمـاسرة والمنتـفعيـن وانعكس على الأداء الاقتـصادى بالسلب .

وهناك بوابات كبـرى يدخل منها الفساد .. أولهـا ضعف الأداء الديمقراطى وغياب المساءلة وعدم الشفافية فى المشروعات الكبرى وبيانات الميزانية .

وثانى بوابة هى اتساع الفجوة بين أقصى الغنى وأقصى الفقر دونما وسطية مقبولة .

وثالث بوابة هى الإعـلام الذى ينشر المظهرية ويمـجد التـفاهة ويثير الشهوات ويقتل الوقت ويدعو إلى الخفة والسطحية ويكتفى بالتسلية دون بلوغ العمق فى أى شىء .

ورابع بوابة هى المحسوبيـة والوسـاطة فيـما لا يجـوز ولمن لا يستحق .

وخامس بوابة هى غياب القيم والاستهتار بالدين والاعتقاد بأن لا شىء وراء هذه الدنيا ولا شىء بعدها ولا شىء غيرها.. واعتقاد المجرم الفـاجر أنه سـيدخل الجنة بالشـفاعة وبكـلمة لا إله إلا الله يقولها بلسانه ولو سرق مال الأولين والآخرين .

وفساد الاعتقاد هو أوسع باب يدخل بصاحبه إلى جهنم .. ولن يشفع نبينا الأمين لمن سرقوا أقوات الناس .. وهو الذى قال لابنته ومهـجة قلبه فاطمـة .. اعملى يا فاطمـة فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا .. وهو القائل .. لو أن فاطمة سرقت لقطعت يدها .

ولو أدرك السارق أنه لا مـهرب .. وأدرك المجرم أنه لا مـفر .. لتردد مـرات قبل أن يسارع إلى ارتـكاب جريمتـه .. ولتغيـر حال الدنيا كثيرا .

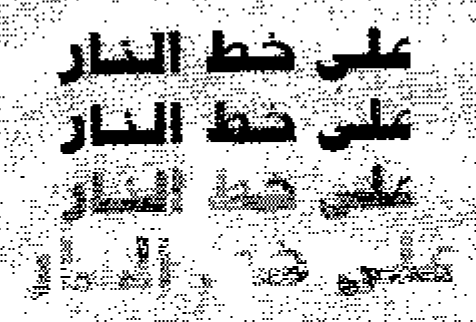
ولا شىء يقف على أبواب الموت أقوى ردعا من أهوال الحساب ومن نار جهنم ومن الـعذاب الأبدى .. والدين أقوى رادع للمـجرم من طمع نفسـه وأعظم وقاية للمجتـمع من شروره .. وهو الدرع التى تحمى المجتمع من فساد أفراده .

والتـحلل من الدين .. والمبـادىء الهـدامـة أمثـال الشـيـوعيـة والعلمـانية والمادية واللاأدرية والفـوضوية والبـوهيمـية والكـفر بأشكاله كانت القنابل الناسـفة التى حوَّلت المجتمـعات إلى قطعان من البهم تسعى إلى إشباع غـرائزها وملء بطونها بأى سبيل ولو بالسرقـة ولو بالقتل ولو بإشـعال الحروب .. ولـهذا كان الفـساد

حصاد الحروب وثمرتها .

وكـان استـقـرار النظام وحلول السـلام هو بداية العـودة إلى مجتمع مستقر آمن .. وكان الباب إلى بناء الحضارات وإلى تحقيق الرخاء .

وعلاج الفساد لا يكون إلا بثوب نـنسجه جـميعـا كل فرد من أفراد المجتمع يشارك فى هذا النسـيج بخيط متـين نشده جميـعا على مغزل واحد ونساهم معا فى رأب الخروق ورتق الثقوب بدأب وعناية ليكون لباس تقوى لنا جميعا .





الفصل الثالث عشر

الـويـل للمتخلفين

إذا كان فى جيبك بضعة ملايين فإنه يمكنك عن طريق التليفزيون وعن طريق شركات الإعلان أن تفرض على السوق بضاعة رديئة درجة ثالثة وتروج لها عن طريق أغنية دمها خفيف ورقصة سكس وابتسامة جذابة بعرض الشاشة وضحكة جنان مع ترقيصة حواجب وطبال محترف يعرف من أين تؤكل الكتف ومصور فيديو كليب « حدق » يعرف كيف يُقطع الصور .. ولا يهم ماذا تعلن عنه .. ممكن أن يكون « سم هارى » ولحمة مفرومة مضروبة وسندوتش زبالة وهامبورجر انتهى تاريخ استهلاكه وأطعمة فرنكشتين وارد أرصفة نيويورك .. المهم أن تثابر على الإعلان وأن تهتم « بالبضاعة » قصدى بضاعة السكس وهز الوسط .. والطبال إياه دكتور الواحدة ونص .. والمهم التكرار والزن على الودان . واختيار التوقيت فى اللحظات الحامية فى بداية مسلسل خاطف للانتباه .. وتأكد أنك سوف تعوض ما أنفقت وسوف تفرض السم الهارى الذى تعلن عنه على جميع مراهقى مصر وعلى طلبة المدارس وعلى العيال والكبار وسوف تبيع وتبيع وتكسب بالهبل .. وسوف يصبح الهامبورجر المضروب وارد حوارى نيويورك هو الأكلة المفضلة وطبق اليوم عند الأولاد الشيك .

والذى قام بعملية التزييف كلها كان الإعلان والذى روج للأكذوبة كان التليفزيون والشاشة الصغيرة التى دخلت كل بيت وفرضت سيطرتها على كل مستهلك .

وما حدث لساندويتش الهامبورجر هو اختصار لما يحدث للتجارة كلها ولأصناف المستوردات من كل لون من ملابس وأدوية ومواد بناء وسيارات ومستحضرات تجميل وثلاجات وغسالات .

والمصرى يدفع من جيبه لكل هذه الواردات بسعر الدولار .. وإذا فكر أن يصدر بضاعته واختار أجمل ما عنده من منسوجات قطنية وقمصان ليصدرها لأمريكا .. فإنه يُتهم بالإغراق إغراق السوق الأمريكية ومنافسة القميص الأمريكى .. وهو اتهام مشروع ومسموح به فى النظام العالمى الجديد .

حتى هذه المنافسة المسكينة محظور علينا أن نخوضها وأن نناطح بها الكبار وأصحاب البورصات الأمريكية وأصحاب البنوك وأصحاب المليارات وملوك الصناعة فى أمريكا وأكثرهم يهود يملكون سوق المال وبورصة الأسعار ذاتها .. وإذا رفعوا الدولار من ٣٤٢ قرشا مصريا إلى ٤٨٢ قرشا مثلا .. فإن هذه الحركة البسيطة سوف تعنى أن يفقد كل مواطن فى بلدنا وكل مودع ثلث ثروته فهو سوف يشترى كل احتياجاته بزيادة ثلاثين فى المائة .. وهى نوع من السرقة والسطو العلنى الذى يحميه قانون النظام العالمى الجديد بزعامة أمريكا .. فالدولار أصبح زعيم العملات وأصبح يهيمن على أسعارها جميعا .

والدولار الذى كان يساوى روبلا روسيا واحدا على أيام

الشيوعية أصبح يساوى أربعة آلاف روبل بعد انهيار الشيوعية .. وسقط الاقتصاد الروسى إلى الحضيض .. وتحول الشعب الروسى إلى التسول والدعارة وعصابات المافيا وإلى شبه مجاعة.. ولولا ترسانة الرعب من القنابل النووية التى تملكها روسيا لداستها الأقدام .

وما صنعه الملياردير اليهودى « سوروس » فى الاقتصاد الماليزى وفى اقتصاد الدول الأسيوية الصغيرة .. حينما اشترى كميات كبيرة من عملاتها ثم طرحها بنصف الثمن .. فانهارت فى ليلة واحدة وتحولت النمور الآسيوية التى كانت تناطح الغرب إلى قطط أليفة بين عشية وضحاها .. كل هذه المعارك الخفية التى تدور فى الفناء الخلفى للدول النامية يديرها جهابذة النظام العالمى الجديد ودهاقنة الاقتصاد فيه دون أن يسفكوا قطرة دم واحدة .. بينما الضحايا يسقطون والفقر يزحف على العالم النامى والظلم يسود ليصبح قاعدة .. دون أن تستطيع أن تمسك برقبة ظالم واحد .. فهم أيدى خفية بالملايين تعمل فى الظلام .. وذكاء شرير لنظام عالمى متقدم يحتال على ملايين الفقراء بلا عدد فى الشارع المتخلف .. البروليتاريا الجدد التى تكدح فى مؤخرة هذا العالم .

ومظاهرات سياتل كانت بداية الصرخة التى أطلقها هؤلاء الكادحون .. وسوف تليها صرخات وصرخات .. وربما ثورات .. فالعالم يوشك أن يسقط فى قبضة قلة من الجبارين الماكرين القادرين أصحاب الحيلة والفلوس .

ولن تكون القنبلة والدبابات والطائرات المقاتلة هى الوسائل المتبعة فى هذه الحرب .. وإنما الحيلة والمكر والذكاء الجهنمى

والاقتصاد والإنتاج والدولار والعلم سوف تكون هى الأسلحة القادمة .

والويل للمتخلفين زبائن الهامبورجر وهواة الواحدة ونص وإعلانات الفيديو كليب ومدمنى المسلسلات وفنون الاسترخاء الذهنى والنوم على أنغام التليفزيون وأهل الكسل الأحلى من العسل .

هؤلاء سيكونون شحاذى ومتسولى النظام العالمى الجديد وسيأكلون طعامهم مع الكلاب المسعورة وجامعى السبارس .

تعلموا واجتهدوا يا أبناء العالم النامى حتى لا تكونوا منهم .

إنه العمل بجد أو الموت جوعا .

على خط النار
على خط النار
على خط النار
على خط النار



الفصل الرابع عشر

أمريكا وإسرائيل

برح الخفاء وافتضحت العلاقة العضوية المتينة بين أمريكا وإسرائيل بعد الهجوم الإرهابى الذى قامت به إسرائيل على لبنان وضربت فيه البنية التحتية وأضرمت النيران فى بيروت ودمرت مولدات الكهرباء وقتلت المدنيين وأصابت الأهداف المدنية .. ردا على ما فعلته المقاومة لتحرير الجنوب اللبنانى (بقتلها العميل المأجور عقل هاشم) .. وجاءت المكافأة الأمريكية الفورية لهذا الإرهاب الإسرائيلى الجبان والخسيس بإعلان البنتاجون الموافقة على تقديم معونات عسكرية عاجلة لإسرائيل وبناء قاعدتين للتدريب العسكرى بتكلفة مائتى مليون دولار .. مع تصريح متخاذل من الخارجية الأمريكية للضحك على ذقون العرب بأن ما فعلته إسرائيل للأسف ليس حلا .. هكذا قالت السيدة أولبرايت بعد أن سكتت دهرا ونطقت كفرا مع إشادة بالعلاقات القوية التى تربط إسرائيل بأمريكا منذ أكثر من نصف قرن .. وبعد ذلك تتكلم السيدة أولبرايت فى أسف عن بطء مسيرة التطبيع فى الشرق الأوسط وتلكؤ الدول العربية فى إقامة علاقات دبلوماسية وكسر طوق العزلة حولها . وماذا كانت تتصور العزيزة أولبرايت أن يفعل العرب بعد ما رأوا من فظاظة وتجبر وجلافة التعامل الإسرائيلى مع الشقيقة لبنان وبعد ما رأوا من الإغفال والتعامى

عن معايير العدالة من جانب الراعى الأمريكى .. هل تصورت أنها تتعامل مع قطيع من البقر يكفى لقيادته التلويح له ببعض العلف .. أم أنها كانت تقيس ما يحدث فى القطر اللبنانى الشقيق بما تفعله أمريكا وما يفعله المستعمرون البلجيك والفرنسيون والإنجليز مع الزعماء الأفارقة أمثال دكتاتور تشاد حسين حبرى عميلهم السابق الذى قبضوا عليه لسوء السمعة فى قضايا حقوق الإنسان.. وكما يجرى مع العميل الآخر منجستو هايلا ماريام دكتاتور إثيوبيا الشيوعى الذى تبحث عنه أمريكا لمحاكمته أو مع ملتون أوبوتى رئيس أوغندا والعميل السابق الذى أطاحت به المخابرات الأمريكية من قبل .. وعيدى أمين من بعده .. وكلهم عرائس أقامها الاستعمار وصنعها على عينه لتؤدى أدوارا فى نهب بلادها وإخضاع شعوبها .. ثم قبض عليها وطاردها لأنها تجاوزت الخطوط الحمراء .. وتخطت الأوامر .. وبدأت تعمل لحسابها .. وفى إفريقيا مناجم الذهب والماس والمنجنيز والنحاس.. وهى ثروات عزيزة تحرص عليها أوروبا وأمريكا وتغمض أعينها عن بعض المخالفات فى سبيل الحصول عليها. وتستخدم الحكام العملاء من كل جنس ولون للوصول إلى أغراضها .

واليوم تلعب أمريكا فى الشرق الأوسط نفس اللعبة القديمة .. وتستعمل إسرائيل لتكون يدها الباطشة فى مقدرات المنطقة .. ولا مانع من أن تتحول هذه اليد الباطشة إلى يد عابثة مخربة .. أحيانا .. فالشرق الأوسط يعنى البترول ويعنى كنوز الطاقة .. ويعنى المستقبل .. وهى أمور تستدعى التضحية بالكبير قبل الصغير .

وسوف تتعامى أمريكا .. عن طفلها الحبيب .. الذى تجاوز الحدود بعض الشىء .. فإسرائيل لجام قوى ومطلوب لإخضاع هذه المنطقة .. وكنوز الطاقة تعنى الكثير بالنسبة لمستقبل مجهول تبدأ فيه هذه الكنوز فى الجفاف والنضوب .

إنها لعبة مصالح .. ودولنا الصغيرة على رقعة الشطرنج هى كبش الضحية فى صراع القوى بين الأفيال وسباع الغاب .. والغلبة فى العادة لصاحب المخالب الأكبر والأنياب الأقوى .

ومخالب اليوم ترسانات نووية وقنابل ذرية .. وأسلحة ميكروبية .. وبوارج وأساطيل وغواصات وطائرات مقاتلة .. ومدافع ليزر .. ودواهى ..

وآفة الجبابرة والأقوياء .. أنهم ينسون دائما أن هناك الأقوى منهم .. وينسون دائما أن القوة تشيخ والجبروت ينهزم .. ولا أحد فيهم يفتح كتب التاريخ ويقرأ ماذا جرى على الأقوياء من قبله .

وإسرائيل لا تعلم أن علوها وارتفاعها هو علو وارتفاع لأجل محدود ..

وفى توراة موسى التى يقرأها اليهود يعلم العلماء منهم وكبار الأحبار العارفين .. شؤم نهايتهم .. ويعلمون أن القرآن ليس الكتاب الوحيد الذى ذكر هذه النهاية الوشيكة ..

والماضى البعيد أيام فرعون الخروج .. مازال فى البال ..

والماضى القريب أيام هتلر ..

وذكريات السبى البابلى أيام بختنصر .

والأهوال .. والدواهى بين هذا وذاك .

اعتبروا يا إخوة .

إعتـبروا يا أولاد العم .. فإن الزمن غـدار .. والتاريخ دوار ولا قوة تدوم لقوى .. ولا جبروت يدوم لجبار .. وأمريكا لها نهاية .

ولا تتمادوا فى غيكم ..

وتواضعوا لله .. يرحمكم ..

على خط النار

على خط النار
على خط النار
على خط النار



الفصل الخامس عشر

الأولـــون والآخـــرون

كان للإسلام فى الماضى حضور فى سياسة الدولة وفى حياة الفرد وفى معنى كلمة عروبة وفى الأمة العربية كلها من المحيط إلى الخليج .. وكانت الشريعة الإسلامية هى عين القانون السائد وكانت هى التى تحكم حركة المسلم فى كل الأقطار الإسلامية فى زمان الخلافة .. ولكن الاستعمار الفرنسى والإنجليزى والأمريكى الذى بدأ يحكم أخيرا سلوك الأفراد من خلال الاقتصاد الحر والعولمة تدخل فى صياغة حياة المسلمين والإخوة المسيحيين على اتساع رقعة الشرق الأوسط والشمال الأفريقى والعالم كله .. وتراجع الإسلام وتراجعت معه المسيحية الأصولية فى تقهقر منتظم خطوة بعد خطوة لتكتفى بحضور محدود فى الكنيسة والمسجد ومنبر رمزى فى الأزهر والفاتيكان .. وانسحبت المرجعية الدينية إلى قرآن محفوظ يتلى وأناجيل مدونة يقدسها المسلمون والنصارى .. فى بحر طام من العلمانية المتحررة من كل الشرائع المتحللة من الأخلاق .. فى شبه إجماع على التحرر من كل المقدسات والحياة فى وثنية جديدة بلا أصنام .. معبودها الوحيد .. هوى النفس ولذاتها ومشتهيات الجسد ورغائبه .. وضمير جديد لا يخشى إلا القانون المدنى الوضعى ولا يحسب حساباً لأى سلطة سوى سلطة الشرطة وضباط الأمن .. وفيما

عدا ذلك .. الدنيا لك تغترف منها كما تشاء .

وفى هذا البحر الطام تراجع الإسلام إلى رقعة صغيرة هى مساحة السجادة وإلى مخبأ مستور هو القلب .. لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد .

وفى قلوب هذه القلة المباركة يسكن الإسلام الحقيقى التى بلغها الإعلام الإلهى كاملا غير منقوص .. والله وحده يعلم تعدادها.. هل هى بضعة ملايين .. أو أقل .. أو أكثر ..

وكم من هؤلاء اشتمل إيمانه القلب والقالب وسكن الوجدان والبنيان ؟؟ وكم منهم وقف إيمانه عند حدود القلب وقصر عن شمول الجوارح .. وكم منهم اكتفى باللسان وبالإسلام الشفوى وبشهادة لا إله إلا الله .

يقول ربنا عن المؤمنين .. ﴿ وقليل ما هم ﴾ ..

وسيظل هذا القول نافذا إلى يوم القيامة ..

لقد بدأ الإسلام غريبا .

وسيعود غريبا .

ونحن الآن فى زمان هذه الغربة .. رغم كثرة المساجد وجلبة الميكروفونات وضجيج المنابر ونداءات المآذن .. وهرولة المصلين .. وصراخ المتشددين .. فهم إلى الآن قليلون .

وهم يزدادون قلة .. يوما بعد يوم .. رغم أنهم يزدادون كثرة فى العدد .

والمطحنة الأمريكية تطحن من النفوس ما يقبل الطحن .

والمطحنة الدنيوية تذرو الباقى هباء .

والأرحام تدفع .

والأرض تبلع .

والتاريخ ماض لا يلوى على شىء .

هل تكون للإسلام عودة ؟؟

سؤال يلح على ذهنى دواما .

ربما .. بعد كوارث آخر الزمان حينما تزول طواغيت الدنيا .

والله يختار الأصلح دائما .

والنظام عند الله أفضل من اللا نظام ولو كان على رأسه طاغوت .. فالفوضى شر مطلق وخراب مطلق .

والله قد يترك العولمة بشرورها لأنها شكل من أشكال النظام .. والنظام أفضل من الفوضى .. والعلمانية تسمح للمؤمن بأن يؤمن فى مواجهة أغلبية تخالفه طالما أنه يحتفظ بإيمانه لنفسه ولا يتدخل فى اختيارات الآخرين .. ولا يكره أحدا .. وهذا لن ينقض قانون الابتلاء الكونى وسيظل المؤمن قادرا على اختيار الإيمان .. وفى ناموس الله وسنته ألا يكره أحدا على عبادته .

ويقول ربنا عن المؤمنين .. ثلة من الأولين وقليل من الآخرين .. أى أن الكثرة من المؤمنين كانت للأولين .. أما الآخرون المؤمنون فسيكونون قلة فى آخر الزمان .. لأن الحريات العلمانية لن تشجع على إيمان المؤمن وإن كانت لن تمنعه من اختيار الإيمان إذا أراد .

والله وحده يعلم كيف سيكون حال « الآخرين » ..

ونحن ولا شك فى ظروف أفضل من ظروف هؤلاء « الآخرين» فى آخر الزمن وفى ختام أيام الدنيا .

ولم تبلغ الروح الحلقوم بعد ..

وما زلنا نقول لا إله إلا الله بالفم المليان وما زال يقوم بحق هذه

الشهادة القادرون عليهـا .. وفى أقصى الأرض فى بلاد الشيشان من يقاتل دونها وإن عدم النصير .

وما زال للطامـعين فى جنة الله فرصة .. لم تأت بعـد العلامات الكبرى للساعة .. ولم تغلق أبواب التوبة ..

سبـحوا ربكم واعبدوه يا إخـوة وأنتم فى عافية فـلا أحد يعلم متى تفجأنا النهاية .

ولا تقولوا مع الشاعر الجالس على مائدة الشراب .

دعنا نعش يوما وفى العمر فسحة .

وربك غفار وربكم أكرم .

فلا أحد يدرى متى تطول هذه الفسحة .. وهل نجد فيها فسحة فعـلا لنعود إلى الله وإلى أنفسنا .. أم تفـجأنا الزلزلة فتـموت فى فمنا الكلمات ويطبق علينا صمت القبور .

وقـصة صـراع الإيمـان والكفـر على هذه الأرض التى انتـهت بغلبـة الكفر وشيـوع المادية والإلحاد .. هى قـصة غلبـة المصالح الدنيوية العاجلة على إنسان قصير النظر متعجل بطبعه .

﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ [٣٧ : الأنبياء] هكذا يقول ربنا .

وهذا هو الامتحان الصعب الذى طُرح على الإنسان من البداية.. لأن الله كان يريد لفـردوسه الصفـوة وكان يريد استـخلاص هذه الصفوة من الخبث الكثير .. وكـان يعلم أن أكثر الناس لا يفقهون وأن أكثر الناس لا يعقلون .. وأن أكـثرهم كالأنعام بل هم أضل .. ومع ذلك اقتضت رحـمته أن يعطى الجميع فرصـة متساوية وأن تصل كلماته وكتبه وهديه وإلهامه إلى الجميع ..

وقد وصلت كلمـاته وكتبه عبـر الرسل والأنبياء وعبـر العلماء

وعبر المطابع وعـبر أجهزة الراديو والتليفزيون والانتـرنت بجميع اللغات وساهمت مـخترعات الكفرة فى نشرها بأكـثر مما ساهمت وسائل المؤمنين .

وأوحى الله إلينا من خلال عقولنا وضمائرنا ونفوسنا وأرواحنا ومن خلال ملائكته .

واقتضت عـدالة الامتحان أن يطلق علينا شيـاطينه حتى يبلغنا وسواس أبالسـته مع خواطر مـلائكته من جميـع الجهات لنخـتار على علم وعلى بينة ونفـعل ما يحلو لنا بعد عـزم ومراودة وتدبر وتفكر .. وليجد كل منا بغيتـه .. الذى أراد أن يقتل واستولى عليه شيطـانه تركه الله ليـقتل .. والذى أراد أن يسـرق واستولى عـليه طمعـه تركه الله ليـسرق .. والذين أقامـوا المذابح للشعـوب تُركوا ليـباشـروا الذبح على راحـتـهم .. والظالمون ظلمـوا والجبـارون تجبـروا والسفاحـون سفحوا والـعلماء عكفوا فى مـحاريب العلم والفنانون سبحوا فى سماوات الإلهام .

وأهل الخيـر والصالحـون والمفكرون والبناؤون هواة الجـمال فـتح لهم ربنا كنوز إلهامـه والأوليـاء والصوفـيون تنزل عليـهم بأنواره .

يقول القرآن عن رب العزة فى سورة إبراهيم .

﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ [٣٤ : إبراهيم] .

اخـتـار لنا ربنـا من كل بسـتـان الزهرة التى تـناسب سـؤلنا والفكرة التى تناسب استعدادنا وطبيعتنا .

﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ [٧٢ : البقرة] .

أخـرج الله منـا مـا نكتم من مـواهب وما نخـفى من أطمـاع

ومـا نضمـر من نيات وخـفـايا .. لنتعـرف على فـضله وإلهامـه وهبـاته .. وأيضـا لـنتـعـرف على شـرورنا وآثامنـا وخطايانا .. ولنكون على بينة من أنفسنا ومن أعمالنا .

وما جـرى لنا ومـا جرى علينا يؤكـد أن هناك بعثـا وأن هناك مساءلة وأن هناك وقفة وأن هناك خاتمة بدونها تبدو حياتنا عبثية وتبدو دنيانا مصادفات عشوائية بلا سياق وبلا نتيجة .

البعث حقيقة .. بدونها تفتقر الحكاية إلى المعنى .

وكفة الحياة بدون البعث ساقطة .

والبعث سوف يعيد الكفة إلى اعتدالها وسوف يكشف لنا المعنى والعبـرة والغاية من كل مـا حدث فلسنا مسـرح عرائس نتـحرك بالخيـوط وينتهى العرض بإسـدال ستار .. وما كـان ربنا يلهو .. تعالى ربنا سبحانه عن ذلك علوا كبيرا ..

بل هناك معنى وغاية من كل ما حدث .

وسوف يلقى كل مجرم جزاءه .

﴿ فوربك لنحـشرنهم والشيـاطين ثم لنحضرنهم حـول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ [٦٨-٧١ : مريم] .

سيُؤتى بنا جميعا فى مـشهد رهيب جامع ليوقف بنا فى حلقة حول الجحـيم لنراها رأى العين ثم يُنزع من كل شيـعة أيهم أشد إجراما ويلقى به فى سعيرها ..

وهذا هو مـشهـد « الورود » الجـامع المذكور فى القـرآن .. ثم يحتم القـرآن بلا لبس أو إبهام مجىء ذلك اليـوم ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ [٧١ : مريم] .

لا كـلام عن عـذاب نـفـسى أو رمـزى بل هو إلقـاء فى النار ومباشرة للجحيم .

وسوف تكون لنا أجسام من نوع آخر تتـحمل أهوال السعير .. وسوف يتكلـم أهل النار وهم فى النار ويتحـاورون ويتلاعنون .. ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختـها ﴾ [٣٨ : الأعراف] . إنها أبدان من نوع آخر .

وسـوف تكون فى النار حيـاة وطعـام وشراب فـيأكل أهلهـا الزقوم ويشربون الماء الحميم .

والجنة خلود ولا موت والنار خلود ولا موت .

يقول ربنا عن أهل النار وأهل الجنة ﴿ فمنهم شـقى وسعيد ﴾ [١٠٤ : هود] .

﴿ فأما الذين شقـوا ففى النار لهم فيها زفيـر وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾ [١٠٥-١٠٦ : هود] .

واستثناء المشيئة هنا لا يعلم معناه إلا الله .

﴿ أما الذين سعـدوا ففى الجنة خالدين فيها مـادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ [١٠٨ : هود] .

واستثناء المشـيئة هنا لا يعنى الإخراج من الجنة فـالعطاء غير مجـذوذ أى غير منقطع .. وربما كـانت المشيئـة تعنى الخروج من الجنة إلى جنات أخرى وسماوات وحيوات متنوعة بلا انتهاء .

والآخرة عوالم من الأسرار يبوح القرآن عنها بمقدار .

ولا يصح أن نقـرأ ما جاء فى القـرآن بشأن الآخـرة كمـا نقرأ

رواية خيالية أو أسطورة من أساطير ألف ليلة .. فالقرآن دقيق وهو حق مطلق وصدق مطلق .. والله يتحدث عن واقع سيقع حتما وعقلنا المحدود يفهم على قدر استطاعته دون تأويل .. فنحن هنا أمام القادر بلا حدود ..

والعاقل من يرتدع ويلزم حدوده دون جدل فالفارق كبير بين رب يتكلم وإنسان يتكلم .. والبون شاسع بين نص بشرى ونص إلهى .. وبين قرآن محكم يتحدى ربنا بكلماته العلماء والبلغاء .. وبين كلام مرسل يأتينا عفو الخاطر فى صورة مقال أو رواية .

يقول ربنا لنبيه .

﴿ إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ [٥ : المزمل] .

فهو ليس أى قول .. بل هو القول الثقيل .

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ [٢١ : الحشر] .

الجبال تتصدع من الخشية إذا نزل عليها هذا القول .

إن القول الثقيل ليس تعبيرا مجازيا .. وإنما هو أمر ثقيل لا تحتمله الجبال .

وعبر كلمات القرآن تصلنا رسالة يتصدع لها القلب وهو يصغى .

وهذا شعور يعرفه كل مؤمن .

إن مباشرة الكلمة القرآنية للقلب هى التى صنعت هذا الدين وهى التى أطلقت الأولين من المسلمين كالزوابع فى كل أرجاء الأرض .. يفتحون أقطارها يحملون معهم شعلة التوحيد أينما ساروا .

كم من الأميال قطع عقبه بن نافع على فرسه من جبال مكة الشهباء إلى أقصى الشمال الأفريقى فى الصحراء الليبية الجرداء.

إنها رواية من روايات الفروسية العجيبة تخطف القلب .

وكيف انطفأ سراج القلب وتفرقت الأمة اشتاتا لا تجتمع على كلمة .

تلك رواية الأولين والآخرين عبر قرن من الزمان .

وهل يكون هناك بعث لهذه الصحوة من جديد ..؟؟

ذلك سؤال يجيب عنه التاريخ .

ولا أرى لهذه الصحوة بوادر ..

بل أرى سحبا منذرة .

إلا أن يشاء ربى أمرا ..

الفهـــرس

الصفحة

مؤلفات الدكتور مصطفى محمود
نشرتها الأخبار

١ – سواح فى دنيا الله
٢ – إسرائيل البداية والنهاية
٣ – الذين ضحكوا حتى البكاء
٤ – الطريق إلى جهنم
٥ – ألعاب السيرك السياسى
٦ – ماذا وراء بوابة الموت
٧ – الغد المشتعل
٨ – الإسلام فى خندق
٩ – الإسلام السياسى
١٠ – عالم الأسرار
١١ – عظماء الدنيا وعظماء الآخرة
١٢ – على حافة الانتحار
١٣ – قرار المستقبل
١٤ – كلمة السر
١٥ – زيارة للجنة والنار
١٦ – المؤامرة الكبرى
١٧ – علم نفس قرآنى جديد
١٨ – الشـــفاعة